سوتشي.. ورقة التوت الأخيرة

الحرمل

السنة الرابعة / العدد 74 / 01 شباط 2018

الحرية دائماً

sayı 74 Her Daim Özgürlük

Alharmal Dergisi Kültür - Siyasi - 15 günde bir

مجلة الحرمل / ثقافية ـ سياسية ـ نصف شهرية ـ مستقلة.

روسيا.. تقصف سراقب وترقص في سوتشي

الدفاع المدني السوري: مقتل 28 شخصا وجرح العشرات في غارات شنتها طائرات حربية روسية على ريفي إدلب الشرقي والجنوبي . وقال المصدر لوكالة الأنباء الألمانية (د. ب. أ) إن القصف الروسي استهدف سوق (البطاطا) في مدنية سراقب بريف إدلب الشرقي ، ما أدى إلى مقتل 20 شخصا وإصابة العشرات .

إفتتاحية العدد

الحطب الكردي..!

لا يفهم التدخل التركي في سوريا والحرب على عفرين خارج سياق الحرب في سوريا عموماً، ومآلات منطقة الشرق الأوسط. روسيا تشتغل على مصالحها المتمثلة ابتداءً بحجز مكان لها في المياه الدافئة، وسوريا خيارها الأخير. إيران تريد طريقاً إلى لبنان عبر العراق وسوريا سعياً منها إلى ترسيخ هلالها الشيعي وبناء إمبراطوريتها، وتركيا تريد منع إقامة كيان كردي على حدودها بأي ثمن. وأما أمريكا فتريد كل شيء، وليس بعيداً عن الصواب القول إن الكل عبارة عن بيادق في يدها مع اختلاف الدرجة، وطبيعة العلاقة بين أمريكا، وبين كل دولة من هذه الدول.

لا تستعجل أمريكا في تنفيذ قراراتها الإستراتيجية، وهي لا تولي أهمية لأعداد الضحايا من المدنيين، ولقد انتظرت على صدام حسين أكثر من عشر سنوات بعد خسارته حرب عام 91 لتشن عليه حرب إسقاطه عام 2003. وهي قد اتخذت بهذا المعنى قرارها بشأن الأسد الصغير بانتظار أن تحين اللحظة المناسبة للإطاحة به.

تتواجد أمريكا حالياً في منطقة الجزيرة السورية، وتستخدم الأكراد على الأرض حطباً في الحرب على داعش، وفي تنفيذ مخططاتها الأخرى، وعلى رأسها البقاء لفترة طويلة شرق الفرات إلى حين ولادة حل سياسي بشأن المسألة السورية، وليس بعيداً عن المنطق رغبتها في إيذاء تركيا عبر حدودها مع سوريا، والسعي إلى تقسيمها من خلال جنوبها الشرقي، وفي الحد الأدنى التلويح بهذا التقسيم وإبقاء تركيا في حالة توتر وقلق.

الآن، تمر العلاقة التركية الأمريكية بشيء من التوتر يبدأ من شكل العلاقة الأمريكية مع العالم، وطبيعة العلاقة التركية مع جوارها السوري الممتد على أكثر من 900 كيلو متر. ترى أمريكا حقها في رسم معالم منطقة الشرق الأوسط وفق المصالح الإستراتيجية لها، وترى تركيا بالمقابل أن جوارها المهدد بالتقسيم سوف ينعكس عليها بالخطر الذي أقلّه تقسيمها واقتطاع دولة كردية في جنوبها الشرقي، ولذا فليس غريباً ذهاب تركيا إلى حرب طويلة الأمد في المنطقة، ومن هنا ذهبت إلى تغيير تحالفاتها، وإعادة بناء علاقاتها وفق مصالحها مع روسيا وإيران من دون أن يؤثر هذا جوهرياً على طبيعة موقفها من النظام في سوريا لإدراكها استحالة استمرار هذا النظام الذي انتهى إلى ضعف عميق في بنيته الأمنية والعسكرية بحيث لم يعد بمقدوره الحفاظ على سوريا موحدة، وهو أمر تريده تركيا منعاً لقيام كيان كردي على حدودها الجنوبية. غير أن هذا التوتر لا يمكن له أن يستمر لحاجة كل من الدولتين إلى الأخرى في المساهمة في بناء خريطة المنطقة، ومن هنا يمكننا تلّمس نوع من الاتفاق غير المعلن بين أمريكا وتركيا بخصوص عفرين يحقق للأولى ابتعاداً تركيّاً عن روسيا، ويؤمن للثانية نوعاً من الاطمئنان على حدودها وكيانها.

يبقى القول إن المنطقة الآمنة هدف تركي تقضي به على التمني الكردي بقيام كيان له، ويصير من المسلّم به القول إن الأكراد السوريين حطب حرب أخرى في سوريا، والأخطر احتمال قيام حرب كردية عربية تستمر سنوات أخرى.

● ماجد رشيد الموید

سوتشي.. ورقة التوت الأخيرة

عروة المهاوش

مراهقة سياسية، ولا يمكن تسميتها بأقل من ذلك، تجلّت في اعتصام «صبياني» لبعض مدعّي السياسة في مطار سوتشي مطالبين فيه إزالة علم النظام من شعار المؤتمر مع تعليق مشاركتهم فيه. موقف لا يقنع أي طفلٍ سوري فقد أحد أطرافه في الثورة، أو والدة فقدت وحيدها، ولا يقنع أبداً ذوي أحد عشر شهيداً وعشرات الجرحى نتيجة قصف الطيران الروسي لمدينة سراقب إبان هذا الاعتصام «الصبياني»، والذي كان من الممكن التحضير له في الدول التي يلجأ فيها هؤلاء المعتصمون دون الإساءة للثورة -ممثلَة بعلمها- الذي وضُع على الأكتاف، وكراسي المطار دون أن يُقدم هذا التصرف أية خطوة إيجابية أو موقف إيجابي يُحسب لهم، في تصريح لـ»دمتري بيسكوف» المتحدث الرسمي باسم الكرملين، أنه من غير المحتمل أن يؤدي عدم مشاركة «بعض الممثلين» عن المعارضة السورية إلى منع هذا المؤتمر من المضي قدماً وتخريبه، في حين كان الطيران الروسي يقصف بكل همجية مدن إدلب، وقراها وتدمير مشفى ميداني متبقي كأحد المشافي القليلة التي كانت تقدم العلاج للمصابين.

ألم يدرك هؤلاء مسبقاً أن روسيا هي بلد قاتل وليست بضامن!! فبمجرد قبولهم وذهابهم هو دعم لمؤتمر ترعاه دولة احتلت مدناً سورية، ودمرت أخرى فوق رؤوس ساكنيها، وتسببت بقتل عشرات الآلاف من الشعب السوري دون أن يرف لها رمش.

شعار المؤتمر كان قد نُشر قبل أيام من انعقاده بالإضافة إلى جدول أعماله كاملاً، وشروطه المسبقة للحضور مع الموافقة عليها، ومن بين هذه الشروط «الروسية» بقاء الأسد في الحكم، وعدم السماح بمناقشة هذا البند في جدول أعمال المؤتمر، وهذا البند وحده كافٍ لرفض المؤتمر جملةً وتفصيلاً لو كانوا يملكون أدنى معايير الوعي الثوري.

إذن كانوا ذاهبين، وهم على دراية كاملة ببرنامج المؤتمر ومخرجاته وخطوطه الحمراء، والتي لن تكون شفيعاً لهم لدى عامة الشعب السوري.

شخصيات تقصّد النظام بكل دراية إرسالها إلى هذا المؤتمر فقط لإذلال المعارضة السورية فمن رندة قسيس إلى سارية السورية، ولا ينتهي الأمر عند «أم البيارق» أو باقي الشخصيات النسوية المرشحة أصلاً من قبل رؤساء الفروع الأمنية السورية.

تسعى موسكو من خلال هذا المؤتمر أن تظهر للعالم أن النظام السوري طرفٌ راغب بعملية السلام، بينما طائراتها تواصل القصف على المناطق الخاضعة للمعارضة في الداخل السوري.

اثنا عشر بنداً كان قد قدمها دي ميستورا خلال الجولة الثامنة من المفاوضات الخاصة بجنيف، كانت هي مسوّدة مؤتمر سوتشي الختامية.

حاول المعتصمون في صالة المطار لعب دور البطولة لكنهم فشلوا في ذلك فشلاً ذريعاً، وكانت وقفتهم تلك سبباً لغضب الشارع السوري، ومحاولة الروس ترحيلهم إلى سورية بعد أن قام بعض من مرافقي أحمد الخطيب بحرق العلم السوري داخل إحدى صالات المطار، لكن تدخل الوفد التركي حينها وبقوة منع هذا الإجراء وبقي مصمماً على عودتهم إلى تركيا.

موقف كان يمكن تجاوزه لو سمع الذاهبون نداء، ورفض الشارع لهذا المؤتمر الذي ترعاه دولة قاتلة متمثلة بروسيا، وتدعم رئيساً قاتلاً جلب مرتزقة من شتى أنحاء العالم لقتل الشعب السوري الذي طالب بحريته.

ورشة عمل حول التربية والتعليم في محافظة الرقة

الحرمل ـ خاص

أقامت النقابة العامة للمعلمين السوريين، فرع الرقّة ورشة عمل تربوية استمرت لمدة يومين 1و2/شباط 2018، بحث من خلالها المشاركون قضايا تربوية وتعليمية تخصّ الرقّة، شارك فيها مجموعة من المدرّسين المقيمين بمدينة أورفا.

تناولت الورشة موضوعاً مهمّاً يتعلّق بإشكالات الوضع التربوي الراهن في المحافظة التي عانت من احتلال داعش، وكان لها النصيب الأوفر من القتل والدمار، ولعلّ ما أصاب المدارس والدوائر التعليمية في شتى أنحاء المحافظة من تدمير هو الأكثر، لتناوب جميع القوى المحتلة من داعش إلى قسد، مروراً بقصف طيران النظام والطيران الروسي وطيران التحالف.

بدأت الورشة في اليوم الأول بكلمة ترحيبيّة لنقيب معلّمي الرقة الأستاذ حسن المحمود، ثم تلا ذلك عرض مقاطع فيديو بيّنت الدمار الذي لحق بالمدارس في المدينة وبعض القرى في ريف المحافظة.

تمّ بعد ذلك عرض إحصائيات مهمّة قامت بها النقابة للمدارس المدمّرة تدميراً كاملاً، والمدمّرة جزئياً، وكذلك المجمّعات والدوائر التربوية.

بعد ذلك تحدث الأستاذ أمجد آل فخري حول أهمّية هذه الورشة وما يعوّل على مخرجاتها من دراسات ستكون ذات نفع كبير في استعادة التعليم مسيرته بعد انقطاع دام طوال فترة تولي داعش زمام الأمور في الرقة.

حدّد المحاضِر الأسس النظرية التي ستعمل عليها الورشة، وركّز على أهمّية الجانب العملي التطبيقي، لأن ذلك سيكون الأساس لاستنتاجات كثيرة لبناء دراسات تربوية حول كيفية التعامل مع الوضع القائم الآن في محافظة الرقة.

ودار بعد ذلك نقاش واسع حول تحديد أهم المشكلات التي يتوجّب الوقوف عندها أوّلاً، وحُدّد ذلك بتناول الجانبين الأهمّ، وهما:

1ـ المشكلات التي عانى منها الطالب في السنوات السابقة، واقتراح الحلول المناسبة الممكنة لمختلف أشكال المعاناة.

2ـ المشكلات التي يعاني منها المعلّم، وأسبابها، والحلول المناسبة الممكنة في ظل الأوضاع السابقة والراهنة.

أكّد المحاضر على أهمّية أن تكون المعلومات فيما يتعلّق بجانبي الدراسة دقيقاً قدر الإمكان، ولذلك اعتُمد أسلوب الاستبيان للحصول على المعلومات من الطلاب والمعلمين والأهالي الذين كانوا آخر من خرج من الرقة إبان المعارك الأخيرة.

ثم عرض الأستاذ حسن المحمود للاستبيان وكيفية بنائه وأنواع الأسئلة التي يمكن تضمينها فيه، على يكون اليوم الثاني من الورشة تطبيقاً عملياً لإنجاز استبيان لما تناوله الحضور من قضايا.

في اليوم الثاني من الورشة تركز على إنجاز تصوّر مقترح لمشروع استبيان يتمّ تنفيذه ميدانياً بالاعتماد على المعلّمين الحاضرين. وعرض كلّ الزملاء اقتراحاتهم حول الأسئلة التي يمكن أن تؤدّي الغرض، وتوصل إلى النتائج والمخرجات التي تُبنى عليها الدراسات مستقبلاً حول الوضع التربوي والتعليمي في محافظة الرقة.

وتعهّد الجميع باستمرار العمل في هذا المشروع المهمّ لما فيه من أثر إيجابي في حاضر المحافظة ومستقبلها.

وختمت الورشة بكلمة شكر للحضور، واستمرار التواصل لإنجازات قادمة في هذا المسار من العمل لأجل الرقة.

حمار للبيع..!

د. عبد القادر الملي

يتذكر أهل الجزيرة نوعين من السنين، أعوام المطر والمواسم العامرة، وأعوام القحط والجفاف، وتلك السنة كانت من السنين التي يتذكرها أهلنا بعقمها عن إنجاب موسم جيد. كانت الحصادات تمر من فوق السنابل مرور الكرام، وتحصد القليل منها، وتترك الباقي واقفاً ينتظر الرعي. لهذا طلب مني الوالد السفر مع القطيع إلى هناك للرعي في أرضنا في قرية أخرى غير قريتنا. سافرت مع القطيع منذ الصباح عبر التلال متحاشياً السفر عبر القرى والدروب الزراعية الضيقة، وصلت قبيل الغروب إلى قرية مجاورة لأرضنا، حيث قضيت ليلتي الأولى، وفي الصباح توجهت مع أغنامي إلى أرضنا يرافقني الابن الأصغر لصاحب القرية أحمد على حماره وخلفنا أغنامنا مجتمعة.

انتشر القطيع في الأرض يرعى، وبدأنا نتعارف أكثر على بعضنا حتى حان وقت الظهيرة، وقت العودة إلى البيت لحلب الأغنام وسقيها، ومن ثم العودة إلى الرعي. ما إن عدنا لمكان الرعي ثانية حتى طلب مني أحمد أن نتصارع، رفضت طلبه في البداية، ولكنه ألح في طلبه، لأنه كان على قناعة أنه الأقوى، ثم اتهمني بالجبن والضعف، حينها قررت أن أغامر ووافقت على المصارعة. ما إن تحاضنا حتى وجدت نفسي مرمياً على الأرض، ضحك ضحكته الغبية، وقال: «أولاد المدارس ما بكم خير». يبدو أنه كان ذا خبرة في المصارعة، قمت من مكاني أنفض التراب عن حسمي، وهو يردد عبارات الإهانة لي، هجمت عليه فجأة وحاولت رميه أرضاً، لكن عبثاً، كان كحائط اسمنتي حملني ورماني أرضاً، شعرت بالخيبة والمرارة، وطلبت منه ألّا يخبر أحداً، وعدني بذلك، لكنه فضحني بين أهل القرية فور عودتنا. أحمد لم يدخل المدرسة أبداً لكنه أصبح فيما بعد مربياً للأغنام وتاجراً ناجحاً لها في نفس الوقت.

سألني أبو أحمد لماذا لا يشتري لك أبوك حماراً تحمل عليه الماء والزاد؟ قلت له حين يأتي والدي غداً سأطلب منه شراء حمار، تابع أبو أحمد الذي تجاوز الستين عاماً، وهو ينفث دخانه من خلال شواربه المصفرّة من كثرة التدخين، الحمار ضروري للراعي حتى الأغنام تستأنس بوجوده وتبقى قريبة من الراعي. في اليوم الثالث وصل والدي وعرفت أن أبا أحمد طرح موضوع الحمار على والدي، ولكن والدي تذرع بحجة أن لا داعي للحمار، لأن أولاد عمي يتولون رعي أغنامنا طوال العام ما عدا أشهر الصيف، مما أغضب الجواب أبو أحمد واتهم والدي بالبخل والتقتير. كنت وأحمد على وشك الخروج بعد الغداء إلى الرعي وإذ بأحمد يتجه إلى المضافة منادياً والده لقد جاؤوا لقد جاؤوا. لم أفهم ماذا يقصد حتى خرج أبو أحمد، وهو يمسد شاربيه ثم وضع يده فوق عينيه يتقي الشمس وقال: «ما حدا يأكل رزق حدا». نظرت باتجاه الطريق وإذ بقافلة نور قادمة من قرية أخرى، بدأ أبو أحمد يتمشى باتجاه النور عند أطراف القرية واضعاً يديه خلف ظهره وتبعناه أنا وأحمد، وتوقفنا جميعاً ننتظر وصولهم. وصل أولهم وسلموا على أبي أحمد، استوقفهم وبدأ يسألهم عن فلان وفلان إن كانوا معهم في نفس القافلة؟ فقالوا له إنهم ذهبوا في اتجاه آخر، ثم سألهم إن كان لديهم حمير للبيع أو للتبديل؟ فقالوا إن الحمير في آخر القافلة مع فلان وهو المسؤول عنها. تابعت القافلة سيرها حتى وصل صاحب الحمير المطلوب لأبي أحمد، فاستوقفه وبدأ الحديث والمساومات والمقارنات، والأسعار يومها لا تتجاوز الخمس ليرات للحمار الجيد، وثلاث ليرات للحمار الضعيف والكبير في العمر. يرغب النور بالحمار القوي لحمل الخيام والأعمدة والأولاد والنساء، ولهذا يحاولون التخلص من الحمير المتعبة والهرمة.

كان أبو أحمد يساوم النوري حول حمار بالكاد يمشي، لا يحمل أي متاع، حتى أن ظهره كان مجروحاً، ووضع فيه علل كثيرة وأن هذا الحمار سيفطس في كل الأحوال، ومن الأفضل مبادلته بحمار أفضل منه، حينها عرف النوري مقصد أبي احمد فوافق على الفور. ابتسم أبو احمد وطلب من ابنه أحمد جلب الحمار، عاد أحمد بالحمار وكان مغرياً للنوري. دار حوله وأبو احمد يراقبه عن كثب وهو يردد: هذا اسمه حمار أما حمارك فلا يصلح إلا عشاءً للكلاب. انظر إلى رقبة حماري وإلى بطنه وذيله، انظر إلى حوافره، وأشار بيده إلى ما بين فخذي الحمار، وأطلق ضحكة مع همهمة خفيفة أنه يصلح فحلاً إذا تطلب الأمر، ويمكنه حمل عائلة بكاملها مع الخيمة والأعمدة. لم يكن أمام النوري مجال للدفاع عن حماره لبؤسه، ولكنه شعر أن ثلاث ليرات سعر مبالغ فيه فعرض على أبي أحمد ليرة ونصف، رد أبو أحمد سأقف هنا وأنتظر كيف ستصل أنت وهذا الحمار إلى تلك القرية على التلة. ابتعدت القافلة عن النوري، وأبو أحمد مصر على دفع الليرات الثلاث. رفع النوري الفارق إلى ليرتين وأبو أحمد لا يقبل إلا بثلاث ليرات، وهو يمسح ظهر حماره وشعر الرقبة من الأعلى، وكأنه يعرض ميزات القوة والجمال أمام النوري. في النهاية اضطر النوري لدفع الليرات الثلاث نزولاً عند رغبة أبو احمد وغادر النوري بحمار أبو أحمد وعاد أبو أحمد بحمار النوري، وطلب أبو احمد من ابنه أن يعتني بالحمار خلال الأيام القادمة لعله يستطيع تبديله مرة أخرى خلال عشرة أيام. أخرج أبو أحمد كيس القماش من جيب سرواله، ثم حل الخيط الملفوف حول عنق الكيس ووسعه وأسقط الليرات الثلاث واحدة بعد أخرى بأصابع مرتعشة وهن يصدرن رنيناً مكبوتاً داخل الكيس، رنيناً أطرب أبو أحمد على ما يبدو، ثم قال: «كثّر الله النور وكثر خيرهم»، وأدار بصره نحو ابنه وقال: «شوف يا أحمد لك ليرة من ربح الحمار القادم إذا اعتنيت به كما اعتنيت بالذي بدلناه قبل قليل». رد أحمد: لقد وعدتني أن تعطيني ليرة من الربح، رد الأب وهو يخرج علبة الدخان من جيبه مع ضربتين على جوانب العلبة ليتجمع الدخان في وسطها: شوف يا ابني، صحيح وعدتك ولكن لم يمضِ وقت طويل على اعتنائك به، ولك عندي نصف ليرة اتفقنا؟ ما كان من أحمد إلا هز أن رأسه بالموافقة، وسحب الحمار من رسنه وتوجهنا نحو القطيع، وخرجنا باتجاه المراعي، هناك بدأ أحمد يجمع السنابل ويضعها أمام الحمار وشاركته أيضاً في جمع السنابل. وأحمد يدعو الله أن لا تأتي قافلة النور إلا بعد عشرة أيام، وهو الوقت الكافي لكي يصبح الحمار قابلاً لإغراء النوري ليدفع الفارق بين الحمارين. وحين سألت أحمد: كم حماراً تبدلون كل صيف؟ رد أحمد: حسب عدد القوافل التي تمر من قريتنا، وحال الحمار الذي نبدله معهم، فبعض الحمير الهزيلة كهذا يلزمه شهر من الاعتناء حتى يسمن، واقترحت على أبي أن نشتري أكثر من حمار ولكن والدي يخشى من بقاء حمار لدينا حتى الصيف القادم لأن قوافلهم لا تمر كلها من قريتنا، فالعام الماضي استطعنا تبديل خمسة حمير فقط، وهذا الحمار الثاني لهذا الصيف.

سوريو الفيسبوك في عامهم السابع

علي المائد

فوضى الرأي عند السوريين في وسائل التواصل الاجتماعي وجه آخر لفوضى السياسية، والسلاح، في التشكيلات السورية التي تظن أنها تتحدث وتفعل باسم الشعب السوري الثائر منذ سبع سنوات، دون أن يلمس هذا «الشعب» نتيجة لما يفعله هؤلاء.

بالطبع، ينطبق ذلك بصورة قد لا تكون مختلفة كثيراً في معسكر المؤيدين للنظام الأسدي، ليمثلوا أيضاً صورة مقاربة للنظام، بطريقة فيها كثير من الفاشية، وما يقترب من التمثيل بجسد الضحية التي لاتزال تقاوم الموت، فقط تقاوم، كي لا تعلن الاستسلام.

يتكرر ذلك في كل يوم، خاصة أن السوريين أصبحوا شعوباً، حتى تكاد كل مدينة وقرية في سوريا تمثل شعباً، فالعرب تعاطفوا مع الرقة حين قصفتها طائرات التحالف، ومدفعية «قسد»، ودمرت الجزء الأكبر منها، بينما يتعاطف الآن الأكراد مع عفرين، ويعتبون على العرب أنهم قصروا في التعاطف مع عفرين. في حين يحاول بعض جمهور الفيسبوك الآن مقايضة تعاطف بتعاطف، أي تعاطفوا أيها «الأكراد» مع مدن إدلب التي تعيش تحت النيران كي نتعاطف معكم في عفرين.

قد تكون صفحات الفيسبوك مجرد إحصاء عينة، لكنها من دون شك عينة معبرة، إذا أخذنا مثالاً محدداً على ذلك، وليكن الموقف من مؤتمر سوتشي الذي لن يتكرر بالتأكيد، ولا تؤشر مخرجاته على أي نجاح في المستقبل القريب، أو البعيد.

وأن تكون مع فكرة المؤتمر، أو ضدها، قبل المؤتمر أو بعده، فهذا رأيك، ولا أحد يستطيع وصف رأيك بالفاسد. مع ذلك، كانت لغة الشتائم هي الأبرز في هذا المهرجان الخطابي المفتوح. أما ما لا يحتمل التأويل فهو الآراء الفاسدة التي تداولت الصور، وبدأت بإفراغ شحنات من الإحباط، وتناولت الحاضرين والغائبين في شرفهم وأعراضهم، مع ثقة كل من كتب في هذا الاتجاه أن كل من حضروا لا يستطيعون التنازل عن ثوابت الثورة حتى لو أرادوا، وحتى لو حاولت روسيا الضغط عليهم كي يفعلوا ذلك.

الأكثر دلالة على ذلك كان تركيبة الوفد العملاق الذي أرسله النظام الأسدي إلى سوتشي على متن طائرات شركة رامي مخلوف «أجنحة الشام»، وبغض النظر عن وجود فنانين وفنانات قد لا يُعجب أحدهم فنهم، فالمشكلة ليست هنا، بل في تمثيل هؤلاء لشريحة الفنانين في سوريا، من الذين أعلنوا ولاءهم للنظام منذ البداية، ولم يبدلوا رأيهم، وفي الشك في تمثيل الشخصيات العشائرية للعشائر، وفي تمثيل التجار الحاضرين لرجال الأعمال الموالين. كل ذلك يدل أن النظام اختار وفده بعناية، ومن أصغر الشخصيات الممثلة لفئاتها، من الفنانين والتجار والعشائر، إضافة لأشخاص يمثلون طوائفهم، بمعنى أن النظام «حقّر» وفده كي يهين المعارضة إذا قررت المشاركة في المؤتمر. والأخبار المؤكدة أن أشرس من دافع عن النظام (في جلسات الهرج والمرج في سوتشي) هم شخصيات عشائرية، وفنانون. فيما طلب بعض السياسيين من الداخل التماس العذر لهم عن غياب صوتهم بسبب الخوف من الشبيحة تحديداً، الذين تفوق سطوتهم الآن سطوة المخابرات في الداخل.

الأمثلة الحية على ذلك أكثر من تعد، لكننا في حين نعيب على الموالين للنظام الأسدي التصاقهم بالقاتل وتشبههم به، فعل كثير من مؤيدي الثورة ما يشبه ذلك، من السياسيين بأدائهم السياسي الهزيل، والعسكريين بتجاوزاتهم على حياة وحرية المدنيين، ومن الفيسبوكيين بتداول الشائعات، والتجاوز على مبادئ أخلاقية في كيل التهم كل على هواه، وتأليف تفاصيل تعجز عنها حتى أجهزة محاسبة متخصصة، أو لجان تحقيق خبيرة.

كل ذلك قد يبرره بعضنا بحرية الرأي، أو بأنها الخطوات الأولى في الحرية التي تحتمل حدوث مثل هذه الحالة. لكن مرور سبع سنوات زاد في تفاقم حالة تشبهنا بقاتلنا الذي شردنا في الأرض، بدل أن نتعلم مع مرور الوقت أن هذا الخطأ قاتل، وأن فشل السياسيين والعسكر في حسم المعركتين السياسية والعسكرية ضد النظام لا يمكن تفسيره فقط في فساد هؤلاء، أو عدم خبرتهم، كون وجود ذلك العدد الكبير من الدول المتدخلة في سوريا أكبر من طاقة هؤلاء على الفعل، فهم بلا شك يريدون تحقيق نجاح، وإنهاء مأساة السوريين، بل ويريدون إسقاط النظام لو استطاعوا.

نعم، سياسيو وعسكريو الثورة السورية فاشلون، ويمكن تخيل عشر بدلاء لكل واحد من هؤلاء، لكن لا أحد يمكنه ضمان أن البديل سيكون أفضل. وحتى لو كان أفضل فلا شيء يضمن تمكنه من إنهاء زمن الحرب، والسير في اتجاه سلام ما.

وعليه، سيتابع جمهور الفيسبوك «عمله» في إفراغ شحنات الغضب، والانتظار، وانسداد الأفق، في العام الثامن للثورة على الأقل.

متى نبني دولة القانون؟!

أحمد المجيلي

تدخل شاحنةٌ كبيرةٌ في شارعٍ فرعيّ ضيق، وحين تصل نهاية الشارع تكون قد تسببت بضرر عدد من السيارات المركونة إلى جانبي الطريق. إلى هنا يبدو المنظر مألوفاً لدينا إذ غالباً ما يتكرر في بلادنا، ولا نجد صعوبة في توقع حجم الخسائر البشرية الناجمة عن مشاجرة أصحاب السيارات المتضررة مع سائق الشاحنة الذي ارتكب خطأً فادحاً بدخوله في هذا الشارع الضيق. إلا أنّ ما حدث تالياً جعلنا نتيقّن أننا في أوربا ولسنا في سورية، وأننا في ألمانيا تحديداً حيث سلطة القانون، ولا مجال لأحدٍ أن يخالف الأنظمة والقوانين دون أن يُعاقب على فعلته؛ فقد نزل سائق الشاحنة يعتذر، وتبادل التحية مع أصحاب السيارات الذين خرجوا من منازلهم على وقع الصوت الكبير للحادث، وخلال دقائق قليلة وصل شرطي المرور على دراجته النارية حيث سجّل تفاصيل الحادث ووقّع الأطراف المعنية على التقرير، الذي سيرسلونه بدورهم إلى شركة التأمين التي ستتولى تصليح سياراتهم وإعادتها إلى حالتها السابقة، دون أن يضطر أحدٌ منهم إلى الاعتداء على الآخر سواء بالشتم أو السب أو بالعنف الجسدي.

هذا المشهد الذي لم يسبق لنا أن رأيناه في سورية، بل على العكس تماماً كنّا نشهد معارك طاحنة أشبه بداحس والغبراء قد تنتهي بتحطيم سائق السيارة ما لم تتحطم سيارته من الحادث. بالطبع الألمان ليسوا ملائكة كما أنّ السوريين ليسوا شياطين؛ وإنّما المقارنة تأتي للتدليل على صحة مجتمع نهض من كبوتين ألّمتا به خلال القرن الفائت، فقد شاركت ألمانيا في الحربين العالميتين التي راح ضحيتها ملايين البشر، ودُمر أكثر من ثلاثة أرباع ألمانيا بعد أن سقطت بيد الحلفاء، وتقاسمها السوفييت والأمريكان وحلفائهم من الأوربيين. خلال تلك السنوات التي كان فيها الشعب الألماني تحت سيطرة جيوش الحلفاء، تعرضوا لشتى أنواع التعذيب الجسدي والنفسي انتقاماً منهم على ما فعله جيش هتلر النازي بتلك الدول، فدفع الشعب الألماني ثمن همجية هتلر وإجرامه.

منذ ذلك الحين، بدأ الشعب الألماني بالنهوض، وكان أوّل شيء فعلوه هو إعادة تربية المجتمع الألماني على عادات وتقاليد جديدة، لينشأ جيلٌ جديدٌ يؤمن بألا سلطة تعلو فوق سلطة القانون، وأنّ القانون وجد لخدمة الشعب وليس لخدمة الرئيس وحزبه. لذا تجد أن المواطن الألماني لا يشعر بالارتباك إذا تحدث مع شرطي أو رجل أمن، كما أنّه لا يعرف ماذا تعني «إكرامية» ولماذا يجب دفعها لأي رجل أمن يريد سؤاله عن أمرٍ ما.

هذه المشاهدات العابرة تقض مضاجع السوريين كل يوم، ويدور في بالهم سؤال واحد: لماذا لم نصبح مثل هؤلاء الناس؟ ما الذي ينقصنا كي نحظى بحياة كريمة كالتي يعيشها هؤلاء القوم؟ هم ليسوا مترفين، ولكنهم ليسوا محرومين، فقد تتعرض لمساءلة القانون، وربما يتطور الأمر فتخسر أبناءك إذا لاحظوا أنّ أحد هؤلاء الأطفال ينظر بشغفٍ إلى حبة موز وظنوا أنك تمنع عنه هذه الفاكهة المحببة لدى الأطفال. وربّما قد لا يمكنهم تصوّر أنّ بعض أطفالنا كانوا لا يعرفون رسم الموز على دفاترهم لأنهم وبكل بساطة لم يتذوّقوا طعمه بسبب غلاء ثمنه في ثمانينيات القرن الفائت.

بالطبع يوجد في ألمانيا كغيرها من الدول الأوربية بعض الحالات هنا وهناك عن موظفين أو رجال أعمال خالفوا القوانين أو قاموا بالتهرب من الضرائب أملاً بزيادة أرباحهم كما حدث مع شركة «فولكس فاغن» التي اضطرت إلى دفع مئات ملايين الدولارات نتيجة أخطاء في أجهزة حماية البيئة داخل إحدى الأنواع التي تصدّرها من السيارات، الأمر الذي أثار ردود فعلٍ كبيرة لدى المجتمع الألماني، حيث شعروا بصدمة بالغة أن تقوم إحدى أهم شركات تصنيع السيارات في العالم وفي ألمانيا على وجه الخصوص بخيانة ثقة الشعب ومخالفة القوانين، الأمر الذي جعل مجلس إدارة الشركة يقدّم استقالته، وتدفع الشركة ملايين الدولارات كتعويض عن خسائرها التي لا يمكن مقارنتها بخسارتهم ثقة الشعب.

وهو الأمر ذاته حدث مع رئيس نادي «بايرن ميونخ» الألماني حيث ثبت لدى مديرية مصلحة الضرائب تهربه من دفع الضرائب ومحاولته التلاعب بالموظفين كي يتمكن من الإفلات من العقوبة، وبالفعل حاول بعض كبار رجال الدولة التوسط له كي لا يتم سجنه أسوة بغيره من المخالفين، لكنّ المستشارة «ميركل» وهي التي تربطها صداقة متينة مع رئيس النادي، ويعد نادي بارين ميونخ من أكبر الداعمين لحزبها وسياستها، أصرّت أن يدخل السجن ويقضي عقوبته بعد أن يدفع الغرامات القانونية المترتبة عليه نتيجة مخالفته القوانين.

هذه الأمثلة وتلك، تزيد من حسرات السوريين يوماً بعد يوم وهم يرون ما حدث ويحدث لبلادهم من دمارٍ وتشريد لأهلها فقط لأنهم لم يتمكنوا من بناء دولة القانون التي تعاقب المذنب، وتكافئ المجتهد، وتفسح المجال أمام مبدعيها كي يخدموا أوطانهم بعيداً عن المحسوبيات والرشى والتلاعب بالقوانين لمصلحة هذا أو ذاك.

الرقة والتعافي المبكر

محمد صبحي

حين تأخذ الحروب أشكالاً متعددة من الصراع، ومتفاوتة الشدة في سيطرتها على المجتمع، وبدوافع شتى، فإن دوائر الأوضاع الإنسانية ستبدو أكثر اتساعاً في أوساط الاستجابة للمجتمع والجهات المعنية بهذا الصراع، بفعل حالات النزوح واللجوء، وما تتأثر به طويلاً أو قصيراً من جراء العنف المسلح، فتبدو مجالات التأثر والتأثير متداخلة ومعقدة التركيب أكثر منها في حالات السلم والاستقرار، وحتى الملازم لاستبداد مؤسسات السلطة في الدولة أو نظامها الأمني أو السياسي، كما هو ماثل في الحالة السورية من الصراع العنيف، خصوصاً عندما انزلقت الحكومة السورية ولعبت دوراً رئيسياً في الاقتتال الدائر، وتخلت عن دورها الرئيسي في حماية المجتمع السوري وبررت ذلك بأنها تستأصل فئات أخرى من السوريين لغاية التجانس (اللون الوحيد) أو ما كان يشكل اعتقاداً عند رموزها في أنها ماضية لإفناء أي معارضة حتى وإن كانت تقتصر على التعبير ضدها بالرأي.

هذا المشهد أكثر ما يبدو لنا عناصر ومحددات داخلية، ويصبح أكثر إشكالاً عندما نقرأ ما هو وارد في مجال العمل الإنساني والاسترشاد بمشروع (اسفير) ما نصه:

«في سياق الطوارئ، قد يتم تعليق بعض حقوق الإنسان بصورة مؤقتة، ولكن فقط في ظروف استثنائية وتحت شروط صارمة. حقوق مثل تلك المتعلقة بالحياة والصحة والأمن البدني من المرجح أن تكون لها الأولوية أثناء العمل في حالات الطوارئ، التي يحكمها مبدأ عدم التمييز».

وقياساً على هذا المبدأ وعلى مسافة سنوات طويلة من «العنف المسلح» بين الأطراف في سوريا، لم تعد الحالة الإنسانية طارئة وبالرغم من ذلك نجد استدامة نسبية في المسعى الإنساني أو نواتجه التي لا تشكو من القصور الدولي، بل على العكس من ذلك، فقد خُصّصت موازنات ضخمة لمشاريع إنسانية في الداخل والخارج لهذا الغرض، لكن تقصيراً ماثلاً في مساهمات السوريين (حكومة ومنظمات وأفراد) لدوافع النزاع وحدته وشموليته وبعناصره الداخلية والخارجية، وكذلك مجمل القدرات المحلية، والأدوات، والوسائل، والمعايير التي كانت غائبة وغير متاحة، وما زالت تعتبر كذلك، طالما أنه لم يتم توفير بيئات آمنة للمدنيين وتحييدها عن الصراع المسلح ليسهل الوصول إليهم، ولو أردنا الإنصاف أكثر، فإنه لم يتمكن تطورها التدريجي أن يلبي التشجيع في المطالبة أو البحث في الاحتياجات التي يوفرها (القانون الدولي لحقوق الإنسان، والقانون الدولي لحقوق اللاجئين، والقانون الدولي الإنساني) بسبب تعقيدات وطبيعة العنف المسلح من جهة وضعف القدرات المحلية من جهة ثانية حين كانت وما زالت تحول دون مشاركة السكان المتضررين في التعبير عن احتياجاتهم، والاستفادة من معيار الكرامة والحقوق الأساسية التي وردت في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ومختلف الاتفاقيات القانونية الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان.

في التوصيف المعياري للحقوق المطلوب توفيرها إنسانياً، فالسوريون الذين تعرضوا للنزوح بسبب الحرب والنزاعات لا بد وأنهم حصلوا على حق الحماية التي توفر لهم الأمان والمأوى والمأكل والملبس والإصحاح والتعليم، وحين نراقب جميعاً المشهد العام نجد أن بيئات النزوح الخارجية والداخلية للسوريين شهدت تفاوتاً في إمكانية حصولهم على هذه الحقوق الأساسية بالرغم من أن الوكالات الإنسانية وفرت مشاريع الحماية دون تمييز ولا تحيز لعرق أو دين أو جنس، وأن ذلك ما يجب أن يكون اعتياداً إلزامياً، تلتزم به الحكومات والمنظمات غير الحكومية، وإن اختلفت توجهاتها وقدرتها على التعاطي في الشؤون الإنسانية، وهي جسر العبور لهذه المشاريع في تقديم ضمانات الحماية للنازحين واللاجئين وإعادة تمكينهم من سبل العيش، إلى حين توفر الحلول المناسبة التي تعيدهم إلى بيئاتهم ومكان إقامتهم الأصلية.

من الملاحظ أيضاً في هذا السياق التنفيذي أن نسب الفساد في إدارة الوساطة في هذه الملفات الإنسانية قد تزيد أو تنقص حسب قدرة المنظمات على الشفافية المالية واسترشادها بمعايير الميثاق الإنساني والمعيار الدولي في إدارة وترشيد الخبرة الإنسانية في مجال الحروب والكوارث بالإضافة لإشكاليات الحوكمة واستقلالية المنظمات العاملة في الشأن الإنساني في هذه الدول المضيفة.

مما يساهم أكثر في الإنجاز أيضاً (وعي المجتمعات وطبيعتها)، وضرورة إتاحة الفرصة في مشاركتها بتصميم الاستجابة والوصول إلى التعافي، وذلك مرهون بقدرة هذه المجتمعات على إدراك ما تحتاجه فعلاً وتطوير أشكال الحماية الأخلاقية المتصلة بثقافاتها الخاصة، ودعمها للفئات الأكثر استضعافاً، بالرغم من أن التقييمات تفيد أن المسنين لديهم الخبرات والمرونة المكتسبة من خلال تجاربهم في التعامل مع شؤون حياتهم القاسية، وقدرتهم على الاستجابة المبكرة وهم الفئة الأكثر صموداً، والأكثر قدرة على التكييف من بين الفئات المستضعفة الأخرى كالأطفال والنساء وذوي الاحتياجات الخاصة، إذ تشير الدراسات بأن التعافي المبكر في المجتمع قد يصل إلى ما نسبته 80% منهم في حالات دعم الاستقرار.

تعتبر مدينة الرقة واحدة من المدن السورية التي تأثرت بنيتها التحتية، ومواردها البشرية والمادية على نحو غير متوقع بسبب شدة الصراع المسلح فيها بعد أن أصبحت بؤرة للتنظيم المتطرف وإعلان التحالف الدولي الحرب عليه، وكانت لمجريات هذه المعركة القاسية ارتدادات على المجتمع، وتعددت موجات النزوح، وفقدان الأمان التي طالت المدنيين في مختلف فئاتهم، وبالرغم من التقارير العديدة التي تشير إلى سوء الحالة الإنسانية في أوساط النازحين وإمكانيات توفير الخدمات الضرورية لهم، إلا أن هذه الوتيرة بدأت في التحسن، وهي نتائج ناجمة عن تدخل منسق في عمليات الاستجابة الطارئة لوكالات إنسانية ودولية بالتعاون مع جهات محلية، واسترشادها بالمعايير والمبادئ الإنسانية التي تشكل ناظماً في العمل الإنساني، بالرغم من أن بيئات النزاع مختلطة عرقياً وإثنياً.

ولضمانة نجاح عمليات الاستجابة لا بد من الالتزام بمبدأ عدم التحيز، وعدم التمييز حين تنص القاعدة فيه:

«أنه لا ينبغي التمييز غير العادل بين الناس أو المجتمعات بسبب وضعهم بما في ذلك العمر أو نوع الجنس أو الأصل أو اللون أو العرق أو الأصل القومي أو الاجتماعي أو التوجه الجنسي أو الإصابة بفيروس الإيدز أو اللغة أو غيره أو المعتقد الديني أو الإعاقة أو الحالة الصحية أو الرأي سواء كان سياسياً أو غيره أو أي وضع آخر».

الحرملي

تبرُّع طفولي..!

زبير الشويخ

تستيقظ ماري ذات العشرة أعوام في سريرها الصغير، ترتدي لباسها المدرسي وتتناول فطورها قبل صعودها في باص المدرسة. يمر الباص في شوارع برلين على جسور باريس بين أبنية لندن حتى تصل ماري لمدرستها وترى الضيف الجديد إلى صفها.

ريم، طالبة جديدة، ولاجئة منذ سنتين إلى المدينة من بلد كان اسمه....

تعرض المعلمة مارغريت فيلماً وثائقياً عن أطفال الحروب لتهيئ مناخ الصف للضيف الجديد، وتبدأ ريم بسردٍ عن نفسها وعائلتها، تجبر عقول التلاميذ أن تحلّق لأمثالهم من الأطفال في بلدان بعيدة مثل بلد ريم، ويبدؤون بسيلٍ من الدموع والأسئلة للآنسة مارغريت.. التي انتهت بإحدى إجاباتها تشرح فيها عن مساعدة المنظمات الدولية لهؤلاء الأطفال، ودورها في مجالات دعمهم في أوقات الحروب. ذكرت الآنسة مؤسسة محلية تجمع التبرعات، وترسلها لمنظمات تساعد الأطفال في بلد ريم -لتقرر ماري والأطفال المساعدة باتفاقٍ مع الآنسة التي تعدهم بزيارة فريق من المنظمة للصف، وينتهي يومهم المدرسي.

في منزل ماري، تُخرج ماري حصالة نقودها المختبئة بين ثيابها، تكسرها، وتخرج منها ما مجموعهُ عشرة دولارات تجمعها في قبضتين لوالدتها وتخبرها ما حدث في صفّها، ولتستبدلها منها بقطعة نقدية واحدة.

صباحاً، تأخذ ماري كنزها الثمين معها إلى المدرسة وسط كنوز بقية الأطفال، وابتساماتهم قبل وصول فريق من المنظمة المحلية لتقديمها لهم.

يعبر كنز ماري البحار كما كنوز حصالات أصدقائها حتى تصل إلى بلد ريم.

مكان عاتم، فيه الكثير من الأوراق النقدية ذات فئة المئة دولار، إحداها تحوي دولارات ماري العشرة.. -جَيب شيخٍ ملتحٍ- رأى في المنظمات ربحاً شخصياً يغطّي عورته، ويكون فيه هو «الآمر بالصرف والناهي عن الفِعل»، ويكون هو «الحَجّي»!!

يبدأ التسجيل
27 كانون الثاني وينتهي 8 آذار

المتاهات..!

طارق عبد الغفور

ربما نكون قد طرحنا هذا السؤال من قبل، وإن لم نفعل فها نحن نطرحه الآن ولا نريد جواباً عليه، بل نريد أن يحتفظ من يقرأه بالجواب لنفسه مثلما نريد أن يُفكر به مليّاً، والسؤال هو: هل السياسة دائماً لعبةٌ معقّدة عصيّة على الفهم ما يخفى من عناصرها وأدواتها أكثر مما يظهر، وتتطلب عقلاً من نوع خاص يستطيع فكّ مغاليقها بعد أن يمتلك من العدّة اللازمة لذلك ما لا يستطيع غيره امتلاكه؟ ولماذا لا تكون لعبةً سهلةً على الفهم يمكن للإنسان العادي القدرة أن يحلّ أحجياتها؟

إنّما هي ملاحظات أوجب طرحَها ما كتبه الدكتور برهان غليون الذي نُجلّه ونحترمه في مقاله بعنوان المحنة السورية على موقع العربي الجديد والسؤال الذي ختم به مقاله وهو: ماذا علينا نحن السوريين أن نفعل للانتقال من وضعنا الراهن كضحية للصراعات الإقليمية والدولية إلى فاعل فيها؟

ولا مِراء في أن الدكتور غليون قد أصاب في تشخيص أزمة نظام الاستبداد الذي عمّ المنطقة وحكم شعوبها، ولكن نتيجة ثورات الربيع العربي، فإيران الشاه كانت قوة إقليمية ذات أحلام إمبراطورية قبل إيران الخميني وجزر الإمارات الثلاث دليل ذلك. ونظرية «الاتجاه شرقاً» وُجدت في تركيا قبل الربيع العربي، ولن نذكر إسرائيل وشعارها المعروف من الفرات إلى النيل.

هذه القوى الإقليمية الثلاث على اختلاف تطلعاتها كانت في المنطقة قبل الربيع العربي، ولم يكن لها من رابع عربي مع الأسف، ولم يتزعزع سوى مركز إيران بينها بعد حرب الخليج الأولى، وهنا يغيب عن التشخيص أيضاً سؤالٌ مهمٌ جداً في ما نعتقد وهو: كيف استطاعت دولةٌ انتفاضة الربيع العربي ضدّ هذا النظام التي قامت في أكثر من بلد عربي ما أدّت في أي بلد قامت فيه إلى ما أدّت إليه في سوريا، حتى في ليبيا واليمن، فلابدّ إذاً من وجود خصوصية ما في «فرع» الانتفاضة في سوريا أدّت الى ما أدّت إليه فيها، وهذا ما غاب عن تشخيصه لأزمة النظام المستبد هنا.

وفي أزمة النظام الإقليمي تجدر الإشارة إلى أن معركة الصراع على الهيمنة والسيطرة على المشرق بين القوى الكبرى المتنافسة في الإقليم ليست جديدة، بمعنى أنها لم تُفتح خرجت منكسرة من حرب طاحنة أن تسيطر لا على جارتها التي هزمتها فحسب، بل استطاعت أن تمدّ نفوذها إلى عواصم ثلاث أخرى في الإقليم، وربما امتدّ إلى أكثر؟

والأمر نفسه ينطبق على أزمة نظام العلاقات الدولية، وإن يكن قد حدث فيه من المتغيرات أكثر مما حدث في النظام الإقليمي، لقد اهتز نظام القطبين فعلاً، وصارت الولايات المتحدة هي المهيمن على شؤون العالم، إلاّ أن هذه الهيمنة ليست مطلقة، وفي ما يتعلق بالشرق الأوسط، فلا تغيّر جوهرياً طرأ ولقد كانت ومازالت الولايات المتحدة هي المهيمنة، وإن ما يبدو من انكفاء أمريكي ليس حقيقياً، فمصر خرجت من عباءة الاتحاد السوفييتي قبل انهياره، وتأثير روسيا الوريثة في سوريا لم يتأثر بانضمامها إلى المعسكر الغربي في حرب الخليج، وأعتقد أن ثوب البلطجة الذي تلبسه روسيا في سوريا لا يعدو دوراً أسندته إليها الإدارة الأمريكية، وسيّان كان هذا الدور لتلقين الشعوب درساً، أم كان لتحطيم السمعة الروسية في المنطقة، وقد لعبه الدب الروسي بغباء مطلق.

بدت هذه السطور وكأنها ردٌ على مقال الدكتور غليون، ولكنها ليست كذلك، وإنما لوضع سؤال بدلاً من آخر، أو قبلاً منه، فنحن لا يمكن أن نسأل ماذا نحن فاعلون للانتقال من وضعنا الراهن إلاّ بعد أن نعرف حقيقة ما أوصلنا إلى هذا الوضع ونظام الاستبداد، وإن كان يتحمّل القسط الأكبر من المسؤولية، إلاّ أن قسطاً لا يقلّ عنه تتحمّله السنوات السبع العجاف التي مرّت حتى الآن وحقيقة ما قام به فيها اللاعبون الذين حملوا البندقية واللاعبون الذين حملوا الكلمة، ووضع هذه الحقيقة أمام الشعب المكلوم، وهذه مسؤولية مثقفينا الذين يحاولون التنقيب عن هذه الحقيقة ومنهم الدكتور برهان غليون، ومتى ما عُرف الداء سهل الدواء.

من يحكم أمريكا؟!

أحمد مولود الطيّار

الكثير من الناس مسحورون بنظريات المؤامرة، وتكثر القصص في هذا المجال من تحطم المركبة الفضائية في نيو مكسيكو عام ١٩٤٧ إلى اغتيال الرئيس جون كينيدي عام ١٩٦٣ وصولاً إلى انهيار مبنى برجي التجارة العالمي في نيويورك في سبتمبر من عام ٢٠١١؛ هؤلاء المسحورون بدأوا يطرحون الأسئلة بشكل ملح: ماذا حدث ويحدث ولماذا الطبقة السياسية العليا تخفي الحقيقة؟!

الكثير من نظريات المؤامرة تماماً خاطئة، وغير صحيحة إنّما عند البعض ربما يكون فيها ذرة من الحقيقة.

مايك لوفغرن، وهو عضو في الكونغرس عن الجمهوريين ولفترة طويلة امتدت لحوالي الـ٣٠ عاماً، ومؤلف كتاب «الدولة العميقة: سقوط الدستور وصعود حكومة الظل»، يتحدث عن اتحاد هجين بين عناصر أساسية في الحكومة وجزء في مستوى عال على الصعيدين المالي والمصرفي والتجاري والصناعي، لا صفة رسمية لهم، يُطلق عليهم «الدولة العميقة» ويقول إنهم في الواقع من يحكم الولايات المتحدة الأمريكية مع اعتماد محدود على المحكومين وذلك من خلال الانتخابات.

بطريقة مماثلة، آخرون كتبوا في «صعود الحكومة السرية الأمريكية» و«حكومة الظل»، ولا أدل تعبيراً وأكثر أثراً من الرئيس الأمريكي السابق دوايت ازنهاور حيث حذر في خطابه الوداعي - ١٩٦١- من القوة المتصاعدة مما أسماه المجمع العسكري الصناعي والتوسع والإنفاق الكبير في تلك الصناعة.

وبدلاً من نظريات المؤامرة، «الدولة العميقة» يمكن أن تعتبر الحارس الذي يسخّر جهود الحكومة ويوجهها في الخفاء ضد ما يتعلق بالتهديدات الإرهابية والأمن والسلام على الصعيد الدولي. كل ذلك يترافق مع ازدياد الرقابة على السكان مع تنامي قوة الشركات المتعددة الجنسيات والنمو في الصناعة العسكرية، ويترافق ذلك مع القمع الوحشي الذي تتعرض له حركات التحرر في عديد الدول. هذا كله رفع من مستوى القلق وهل تعرف وتدرك الشعوب بما يجري وهل هي قادرة على إيجاد التأثير على حكوماتها؟!

الترجمة عن نص مأخوذ من كتاب «السياسة، المواطنون والديموقراطية» لمحرره الدكتور دارين ناسبيت
العنوان الأصلي «الدولة العميقة» The Deep State

من داخل السرب

الثورة التي لم تجامل أحداً..!

غسان المفلح

ستدخل الثورة السورية عامها الثامن بعد شهر ونصف تقريباً. حتى هذه اللحظة، لم تستوعب الكتابة إلا الجزء البسيط من تفاصيل هذه الثورة العظيمة. لم تترجم الكتابة قصص الناس البسطاء الذين دفعوا، حياتهم من أجل حريتهم وكرامتهم.

لكل عائلة تهجرت، لكل عائلة تدمر منزلها على يد المحتل الأسدي، وحلفائه الغزاة. لكل عائلة دفنت أبناءها. لكل عائلة دُفنت مع أطفالها. لكل معتقل ومفقود لدى سجون الطغمة الأسدية قصة ورواية. هؤلاء نصف الشعب السوري.

***

مدن مدمرة مهجورة نهبها جيش الأسد وشبيحته. كل هذا لأن للثورة حكاية واحدة، حكاية الحرية والكرامة. مدن وقرى، شوارع وحارات وأزقة. أراض زراعية لم تعد تجد من يزرعها.

مليون ضحية، ونصفهم معتقلين ومفقودين. المنظمات الحقوقية الدولية أصابها الملل لكثرة الملفات!! كل هذه المنظمات أجمعت على أن الأسد مجرم حرب.

لكن أمريكا بقيادة أوباما أصرت، ولا تزال بقيادة ترامب تصر على أن للأسد قصراً من نفط في تل أبيب.

***

ليس ادعاءً، لكن من لم يلتقِ مندوبي الدول المعنية بالملف السوري في السنة الأولى للثورة، خاصة في أشهرها الأولى.. ليقلل من فصحنة شتم الثورة. أحترم كل التحليلات، لكن عندما يضع المندوب الأمريكي ملفه على الطاولة، تصبح هذه التحليلات لا قيمة معرفية لها، ما لم تكن مستندة على معلومات.

***

أطفالنا ماتوا بإشراف الأمريكي، وبالمقابل لولا الأمريكي أيضاً لمات أضعاف أضعاف من ماتوا. الأسد والروس والإيرانيون وغيرهم مجرد قتلة. هذا التناقض في الموقف الأمريكي، يحيل فقط لمسألة واحدة، أن أوباما أراد حماية الأسد. لسان حاله يقول له وللروس وللإيرانيين» مسموح القتل الذي نسمح به نحن». حفاظاً على دوركم. من جهة أخرى يعرف أوباما تماماً توحش وفاشية الأسدي والروسي والإيراني، أدخلهم لقتل أطفالنا.

الثورة قالت كلمتها إنه لا يوجد نظام عربي أو شرق أوسطي خارج الحماية الأمريكية.

مرة أخرى رهاننا على موقف أمريكي ليس نابعاً إلا من معرفتنا بقوة التدخل الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط. رهاننا ليس لأن أمريكا، دولة زعيمة للعالم وبرانية في الشرق الأوسط، ومع حقوق الإنسان، بل لمعرفتنا أنها دولة جوانية في كل نظام شرق أوسطي خاصة المحيط بإسرائيل. أمريكا من تحمي أنظمة العسف في الشرق الأوسط.

***

«الإسلاميون» الأمميون ممثلون بالقاعدة وتفرعاتها، لم تسمح لهم الدول بالدخول إلى سورية، كي يبنوا نموذجاً، أي نموذج، بل سمحت لهم بالدخول كقوى محاربة على حساب الثورة وضدها.

المناطق التي حررها الجيش الحر واستولوا عليها هؤلاء، لم تكن تعني لهم أكثر من قواعد عسكرية للحرابة، ولا تزال. ما نأسف له أن الإخوان المسلمين السوريين ساهموا بالتغطية على هؤلاء. لم يكن في أذهان قادتهم سوى الحرابة على النموذج الوهابي- الأفغاني.

أمريكا عندما سمحت أو غضت الطرف، لكل قوى الاحتلال للثورة السورية، من الروس لإيران للقاعدة وغيرهم، لم تسمح لهم كي يبنوا نموذجاً سياسياً دولياً ما، بل هم فقط للحرابة، على طريقة الجهاديين.

***

أمريكا معجبة بنموذج الأسدية. المشابه لنموذج بوتين، ولا إمكانية لقيام نموذج ولاية الفقيه في سورية، والقاعدة ليس عندها أي نموذج يبنى عليه. أمريكا غطت ورعت نموذج الأسد، وليس الأسد فقط كشخص. لا عناء لإيجاد دليل!! من ينظر إلى سيسي مصر الآن يعرف عما أتحدث. هذا النموذج أيضاً ينام على اليد الإسرائيلية.

***

الحرابة أو تزمين العنف والتعايش معه، هذه السياسة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط. كلها نماذج عنفية، ضد مجتمعها والمجتمعات الأخرى. أفغانستان إيران العراق سورية لبنان مصر ليبيا اليمن الصومال. هذا العنف الذي يحصد أرواح الناس من جهة، ويترك الباقي من الأحياء دون حد أدنى من سبل الحياة. هذا النموذج مضبوط أمريكيا. كل حركية الأموال فيه في النهاية تصب في الخزانة الأمريكية.

النموذج الأسدي نموذج حربي. لهذا ترعاه أمريكا. هذا ما أوضحته الثورة السورية.

الحرابة نسبة للقاعدة وتفريعاتها، وتزمين العنف نسبة للسلطات الحاكمة، باعتبارها لغم دائم في مجتمعاتها.

***

الثورة ليست هي المعارضة، الثورة أوضحت مأزق السلطة وتحالفاتها، والمعارضة وتحالفاتها. هذا المأزق ليس نتاجاً جينياً، بل هو نتاج للسطوة الأمريكية على المنطقة.

من يعتقد أن أمريكا تريد الاستقرار في أي منطقة من هذه المناطق هو واهم. ستبقى المنطقة، السلطات فيها محتلة ومنتجة للعنف المادي والرمزي والتخلف في مجتمعاتها، مادام هنالك نفط واسرائيل وصراع دولي.

السياسة الأمريكية بعد انتصارها على السوفييت، تطورت باتجاه المزيد من الوضوح:

أعادت الحياة إلى ما قبل الإنسان. الآن البشر في منطقتنا يطالبون بحق البني آدمية في العيش، وليس في حقوق الإنسان.

أوباما كان عبارة عن الإعلان النهائي لموت الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

***

تركيا تجاوزت هذه العتبة، وسيكون لنا حديث آخر.

نقطة أول السطر

التاريخ الملعون ليس قدراً..!

خلف الجربوع

يعترف الكثير من المفكرين والساسة بأن الماضي لا يمكن تغييره، لكنهم يقرون بإمكانية تجاهله لصالح الحاضر والمستقبل.

إذن كيف ومتى يمكن أن نتجاهل التاريخ في الجزيرة السورية، وفي الرقة بشكل أخص؟. وكيف نقر بدور كوردي فاعل في هذه المنطقة لصالح سورية جديدة موحدة؟.

الواقع الملموس غير مخادع، ويقول إن الكورد في هذه الجغرافية وبصورة متعاظمة، أحد أهم محركات الأحداث، على الرغم من انتقاد سلوكيات القوى الكوردية الشمولية والاستبدادية تجاه الجميع (من خلال خبرتي وتجاربي مع العديد من التنظيمات السياسية الكوردية لم أجد فروقات جوهرية بين طروحاتها حول سورية وكوردستان، ونظرياً أجد الاتحاد الديموقراطي يتقدم عليها في هذا الخصوص على الرغم من احتكاره للحقيقة/ حقيقته وسعيه لتكريسها بقوة السلاح العاري) إلا أن هذا لا يمنع من إدراك حقائق لا بديل عنها.

_ إن الكورد السوريين قد نجحوا في الوصول إلى مواقع من الصعب التراجع عنها وتجاهلها.

_ إن المقاتل الكوردي أصبح أحد أهم الرموز وأسطورة في أعين الكورد، وكما يقال «عندما تبدأ الأساطير تبطل الأسئلة».

وعلى الرغم من أني على النقيض من مشروعهم غير السوري الذي يتجاوز المواطنة والهوية السورية لصالح مفاهيم عابرة للحدود، ومشاريع إعادة إنتاج سلطة الأقلية (الأغلبية السياسية غير متحققة بسبب غياب شرط التعبير عنها الآن) وتكتيكاته في التمكين والتحالف، فأنا لم أقلل من قدراته في التنفيذ، ولا أخفي إعجابي بذلك على الرغم من لغة السخرية في تناولها أحياناً، أو إعجابي في مهارة قادته ومهارتهم في استغلال تناقض مصالح القوى الدولية المتصارعة على ساحة الأرض السورية، وتقديم أنفسهم كمقاول بديل ملتزم بشروط تنفيذ المقاولة، والعمل ضمن الهوامش المتاحة التي يتيحها رب العمل في معرض تنفيذ المقاولة (معركة أمريكا ضد إرهاب داعش في الرقة، العرض الذي لم تعرف المعارضة المسلحة التعاطي معه، ربما لافتقارهم إلى هامش التعاطي مع الأمريكي بسبب قصر نظر سياسي واستراتيجي ناتج عن عدم استقلالية في قرار التعاطي، وتشوش في البوصلة السياسية بسبب تعدد المشاريع حول سورية الجديدة).

إن انخراط الكورد بقيادة الاتحاد الديموقراطي والآبوجية العقائدية بشكل عام في مغامرة عسكرية وسياسية كبرى ألزمهم تنفيذ المهام الموكلة لهم في شرق الفرات بكل إخلاص، وفي الوقت ذاته لم يجمدوا العمل على مشروعهم، حيث استغلوا ويستغلون كل الممكنات المتاحة، والتي سمحت بها أمريكا من أجل نشر مشروعهم عبر إجراءات متعددة، ربما ستكون أساساً تُبنى عليه إستراتيجية أمريكية تقول بتمكين المجتمعات المحلية في إدارة شؤونها من الأمن إلى الإدارة والتشريع، ولاحقاً الإعمار والتنمية اللامركزية في الجزء الأمريكي من سورية.

لا شك أن الاعتراف بالاتحاد الديموقراطي وبصفته العسكرية أيضاً سيمنحه وضعاً مميزاً طالما سعى إليه، وإن هذا الاعتراف سيزيده قوة وثقة، وهذا يعني المزيد من المواقف والإجراءات التي تفترق عن مشروع سورية الجديدة، وهذا ينقلنا إلى إمكانية التفاوض معه في المنطقة الحرام (المساومة على وحدة سورية).

لذا أقترح (جيركا لويا) في شرق الفرات تحت إشراف أمريكا والاتحاد الأوربي وتحت مظلة الأمم المتحدة لتجاوز هذه المعضلة، والوصول إلى حلول ممكنة وقابلة للحياة وترضي الجميع دون الاحتجاج بالتاريخ الملعون.

أعتقد أن تجاهل هذا الاقتراح وعدم العمل على تطويره سيكون مدعاة للأسف وقبول مع الإصرار في استمرار المأساة بالنسبة لنا جميعاً في شرق الفرات.

وإن التهاوش في الإعلام لن يكون بديلاً عن المواجهة المباشرة والتفاوض، أعرف أن هذا مؤلم جداً بالنسبة لأطراف تعيش داخل التاريخ وتقدسه، لكن تجنب المنطقة الحرام يحتاج إلى إنجاز وإن هذا الإنجاز المأمول يحتاج إلى تجاهل التاريخ وتجميد قدسيته من أجل مستقبل يمنع استمرار شلال الدم.

ملاحظة: المقال كُتب قبل معركة عفرين التي لا أشك بنتائجها العسكرية، ونتائجها الديموغرافية والسياسية على شرق الفرات، والتي سيرافقها المزيد من الدماء.

في «الانتظام والحرية» (2)

قصي مسلط الهويدي

نُعيد القول مرةً أخرى: من البدهي أن لا شيء أثمن من الحياة، وكل شيءٍ آخر، يأتي تالياً، هنا يكون السيد المتحكم بالسلوك:
- غريزة البقاء.
وسيكون القانون الناظم له:
- البقاء للأقوى.
تلك الغريزة الأكثر تجذراً، وذلك القانون الأكثر بدائيةً وتوحشاً؛ سيحكمان سلوك الأفراد والجماعات، دون رحمة؛ حيث أن التهاون في الخضوع لهما، ستكون نتيجته الأكيدة، كما ذكرنا سابقاً:
الفناء المحتم، أو الاستعباد.
ولكن ماذا عن «الحرية» وعن النزوع الغريزي إليها؟!!
أم هي مجرد «قراءةٍ متأخرةٍ» لماضٍ لم يلقى نصيبه الوافي من الدرس؟!!
يبدو جلياً -من سردية تطور الاجتماع- أن «الحرية» كقيمة وكمفهوم؛ لم تكن يوماً ذات أهميةٍ تذكر، وأن «البقاء وصراعه» وما يترتب عليهما من «الخوف» هي الغرائز والدوافع الأهم، وأنه (أي البقاء) مرهونٌ بالانتظام في جماعة تحمينا بنفس القدر الذي نبذله في سبيل حمايتها، ولن يتحقق ذلك إلا بالخضوع التام لها، والذوبان الكامل في صفوفها، دون أي اعتبارٍ لقيمة الفرد بذاته، إلا كعضوٍ نافعٍ للقطيع (فالجميع للواحد، والواحد للجميع)
كما يبدو بشكلٍ أكثر وضوحاً، أن «الحرية» كقيمة، ليست فقط سلبية، وإنما مرفوضة أيضاً ومذمومة، إذ أنها:
- من ناحية، تهدد بقاء الفرد، وتُعَرِّضه للفناء أو الاستعباد الأكيدين، إذا كان له خياره الخاص المتمايز عن خيار القطيع (وإلا فما معنى الحرية؟!).
- ومن ناحيةٍ أخرى، تهدد بقاء الجماعة وتماسكها، وتُعرِّضها لخطر انفراط عقدها في حال مارسها كثر.
هنا يحق لنا بكل مشروعية أن نعيد التساؤل حول ما دُعيَ: «حركات التحرر» على امتداد التاريخ والجغرافيا، والتي يحدثنا عنها «التاريخ المدرسي»: هل كانت حركات «تحرر» فعلاً، وهل كانت تطالب بالحرية حقاً؟!!
أم أنها عندما نشأت، كانت تنادي «بالخلاص» من التبعية لجماعةٍ ما:
- إما بالخروج من قطيعها والاستقلال عنه، لتكوين «قطيعٍ» مستقل.
- أو بإخضاع قطيع الخصم -إن أمكن- والتسلط عليه.
هل نحن هنا أمام «تحررٍ» بالمعنى الذي نرغب في أن نضفيه على تلك الحركات «المزعومة» أم أنه فقط: صراع إخضاعٍ وخضوعٍ متبادل، عبر دورة الزمن؛ فالحرب سجال: يومٌ لك ويومٌ عليك، وإنما «الأيام دول»؟!!
هنا تماماً؛ يكمن اللبس القاتل بين «الحرية» وبين الرغبة المشروعة -للجماعات- في «الخلاص» من التبعية ومن الظلم. ولن نفصِّل القول في ذلك هنا؛ لأنه يحتاج إلى مقالٍ خاص، نَعِدُ بإنجازه قريباً.
{(وربما ليس من باب المصادفة أنْ كان الكلام، دوماً، عن «الحرية الحمراء» كلما عنَّت «الحرية» على بال «أحرار» جماعةٍ/قطيعٍ، يرزحون تحت وطأة جماعةٍ/قطيعٍ آخر).
(وهذا اللبس مسؤولٌ أيضاً عن الخطاب المنتشر بين «القطعان» عن ضرورة التمييز بين «الحرية» وبين «الفوضى» إذ أن الحرية لا يمكن أن توجد داخل القطيع، دون إثارة البلبلة وعدم الاستقرار. إنها دائماً موضع شبهة، ويجب «تأطيرها ومراقبتها» على الدوام، حتى «لا يُساء استخدامها»!!!!!! ومسؤولٌ أيضاً عن نشوء وتأويل عبارات؛ مثل: «الحرية مسؤولية والتزام» وربطها بالالتزام بمشروع «الأمة» والمسؤولية تجاهه، وليس بخيارات الأفراد)}.

لنتتبع ضالتنا إذاً، والتي سيطول انتظارها:
إذ سيمر وقتٌ طويل على الفرد المُستَنفَد طوال الوقت: بالصراع من أجل البقاء؛ وبالحماية؛ والرعي؛ والصيد؛ والزراعة؛ وغيرها من احتياجات الجماعة التي لا تنقضي؛ الفرد المرهون «بقاؤه» بانضوائه تحت لواء «قطيعٍ» ما، والذي لم ولن يكون ليمتلك رفاهية أن يحلم «بالحرية» والتي ستعني حتماً موته وموت من هو مسؤولٌ عن حمايتهم، الموت الذي سيكون:
- إما نتيجةً حتمية للتعرض للخطر الذي لا يقوى على درئه.
- أو سيكون عقوبةً يتلقاها من الجماعة جزاء مغامرته ببقائهم وبتماسكهم.
نقول: سيمر وقتٌ طويلٌ -وربما طويلٌ جداً- حتى يدرك ذلك الإنسان/الفرد وجوده المستقل، ويعي ذاته كقيمةٍ عليا مستقلةٍ عن الجماعة، وحتى يعي أنه في مأمنٍ تامٍ لوحده خارج القطيع، وليبدأ تالياً بالتمايز عنه، واستشعار «تفرده» وتفرد وجوده الذاتي المميز المفرد، دون أن تكون نتيجة ذلك: موته أو استعباده.
استشعار وجوده المفرد المشكِّل لهويته ووعيه بها؛ بمعزلٍ عن: العائلة؛ العشيرة؛ القبيلة؛ الطائفة؛ الأمة؛ ...وصولاً إلى الأممية، وكل تنويعات «القطعان» المختلفة الشكل والحجم، والمتطابقة تماماً في البنية العميقة وفي النمط.
هنا فقط؛ يبدأ مفهوم «الحرية» بمعناه الحديث -والذي يتغنى به الجميع- بالانتقال «التطوري» التدريجي؛ عبر المراحل التالية:

من حيز «المستحيل التفكير فيه» إلى حيز «اللا مُفَكَّر فيه»، ثم إلى حيز «الممكن التفكير فيه»، ثم تالياً إلى حيز «المُفَكَّر فيه». لتبدأ بعد ذلك كله: إمكانية الكلام عنه، ناهيك عن العمل عليه على المستوى الجمعي.
إذاً، وكخلاصة:
- يبدأ الأمر [بغريزة] البقاء.
- التي تحرك [دافع] الخوف من الفناء.
- ليَنْظُم الصراع قانون: البقاء للأقوى/الأفضل.
ثم يتلو ذلك؛ مجموعة من [الاحتياجات] المترابطة تطورياً، والتي تحتاج إلى الكثير من التطور في الوعي وفي الاجتماع؛ كي تتوافر فرصة دخولها حيِّز: المُفكَّر فيه، قبل أن تبدأ بالظهور -ناهيك عن بدء التبلور- ويمكن إجمالها في:
- الوعي بضرورة «الانتظام» في جماعةٍ ما؛ لتحقيق القوة المنشودة والأمان: انتظام قطيعي يلغي الفرد ورغباته الخاصة، لحساب الجماعة
- ثم سيمر وقتٌ طويلٌ، قبل أن يبدأ الوعي بالذات المتمايزة عن الآخر/الآخرين، التي تشعر بحقها في شيءٍ من التفرد؛ بعد أن تَوَفَّرَ لها «الأمان».
- ثم وقتٌ أطول لتصل تلك «الذات المتفردة» إلى إيمانها الراسخ «بحريتها»
- ثم لتبدأ بالتمسُّك بها كمحددٍ أساس في «تشكيل هويتها» الخاصة.
وليبدأ بعد كل هذا: العمل على تحقيق ذلك الاحتياج، الذي يحتاج بدوره إلى الكثير الكثير، قبل أن يتحول إلى: واقع...
نافلة:
في زاوية «هل تعلم» المنشورة في أحد المواقع الموجَّهة إلى الأطفال؛ قرأت ما يلي:
هل تعلم: أن الحيوان إنما يهرب من الأسر «خوفاً على بقائه»، وليس «طلباً للحرية»، وأنه عندما «يأمن» على حياته: يُستأنَس!!

حنين..!

جنان الحسن

يقول الكاتب خوان مانويل ماركوس في روايته «شتاء غونتر»:
«لا توجد مسافة أكبر أو أكثر حزناً من تلك التي لا نستطيع قياسها عند الغروب».
حقيقي هو عمق تلك المسافة وموجع مداها حين يغيب عن العين من يسكنون القلب، حتى أننا أحيانا نغمض أعيننا لنختبئ منها، ظناً منا أننا بذلك نطفئ نار الشوق التي تشعلها الشمس، وهي في طريقها للإنطفاء، إذ أنها تعرينا من كل جمال نرتديه فتحولنا لمجرد أرواح بائسة قدّت من ألم.. من وجع، ومن صبر ساعة طولها ألف سنة، حينها تعمل الذاكرة كجهاز تسجيل يعيد كل ما خُزن فيه، فتتراءى أطيافهم تجوب في المكان، فنضحك أو تدمع العين منا، وقد يصاحبنا تلك اللحظة ندم كبير على كل ما فات منا، وتسرب من بين أصابعنا دون أن ندرك أهميته، إن كنا نحمل في قلوبنا هذا السيل الجارف والحارق من الشوق لهم بما كانت حقائبهم محملة. إذا وماذا تبقى في خزائن القلب لهم..؟
ما يجعلني أردد بصوت عالٍ، علني بذلك أطفئ النار التي تستعر في عمق روحي، لو علمت يوماً أنهم سيغادرون وتسرقهم المنافي، لضممتهم ضعف المرات، لضحكت طويلا لأحاديثهم، وأضحكتهم في أحضاني، لملئت قوارير من عطر أرواحهم دفئاً لمواقد الشتاء الباردة، لأحصيت خطواتهم وهم يجولون في قلبي، ولقرأت عليهم معوذات الياسمين، كي يبقى ضوعها وهم حياة لقلبي.. لصنعت من بقية ضحكاتهم قلادة تزين كل أوقاتي..
فالليل الذي يخلو من حكايا الذاكرة هو ليل مظلم..
والليل الذي يخلو من دفء ملامحهم ليل قارس البرودة هو..
ما علمت أنهم سيغادرون..!!
وأن قلبي سيبقى يحصي أيامه الباردة في صيف أعوامه كلها..
أيتها الشمس.. رفقاً.. رفقاً بآثار خطوات لهم ما زال ظلّها يلهو هناك، وأحاديث وتمتمات تعجز الريح عن لملمتها..
لا أريد أن أكون من دعاة الحزن.. أحاول أن ابتسم قدر استطاعتي.. وإن قهرتني دمعتي حيناً.. فالدموع التي تحمل الشوق اتركوها.. لا توقفوها.. ستنبت زهراً جميلاً.. ويكفي أن الريح تلتهمني كل غروب وتعيد نثري على أرصفة الحياة كل شروق..

المغيبون والمصير المجهول

عبدالرحمن مطر

ليس بوسعنا أن نغلق النافذة
والمطر يهمي..
سنشعل القناديل كل ليلةٍ
وقلوبنا تنتظرهم!

لا تـزال قضيـة المغيبـين قـسراً، تعـدّ واحـدة مـن أكـثر القضايـا الإنسـانية أهميـة، ومـن أكثرهـا تعقيـداً، تتجـاوز القضايـا المتصلـة بجرائـم الحـرب كالإبـادة والمذابـح، وغيرهـا مـن الانتهـاكات. ثمـة مصائـر مجهولـة لأفـراد تـم تغييبهـم قـسراً وفقـاً لتعريـف القانـون الـدولي، والتعبـير المسـتخدم لـدى المنظـمات الدوليـة الحقوقيـة.

أشـخاص لا نعـرف أيـن هـم، مـا هـي أوضاعهـم الإنسـانية، وظـروف احتجازهـم، ومـا هـي العقوبـات التـي يتعرضـون لهـا: التعذيـب المسـتمر بوسـائط متعـددة، لا تراعـى فيهـا أيـة قيـم يحـترم الآدميـة، ولا تمـت إليهـا بصلـة. وهـل هـم أحيـاء. التعذيب النفـسي الـذي يطـال المغيبـين وذويهـم عـلى حـدّ سـواء، أقـل تعبـير عنـه وأقربـه، أنـه اكتـواء الألم!

في حالتنـا السـورية، عـدة أوجـه لجرائـم الإخفـاء القـسري، وعـدة فاعلـين. هـم نظـام الأسـدية، والتنظيـمات الإسـلامية المسـلحة، مـن جيـش الإسـلام إلى النـصرة وأحـرار الشـام، وداعـش. يضـاف إليهـم المؤسسـات والأذرع الأمنيـة والعسـكرية لحـزب العـمال الكردسـتاني في سـوريا. وخـلال سـنوات المحنـة السـورية الراهنـة، اختفـى عـشرات الآلاف من المدنيـين خلـف القضبـان، والأسـوار العاليـة، في تقييـد قسـري يمنـع حريتهـم، ويدفـع بحياتهم نحـو المجهـول. وتنوعـت أسـاليب التغييـب، مـن الاعتقـال والاختطـاف، إلى الاغتيـال والتصفيـة الجسـدية.

كان نظـام القمـع الأسـدي في مقدمـة مرتكبـي جرائـم الاعتقـال والاختطـاف، خـارج إطـار القانـون، في ظـل تجـاوزات واسـعة متكـررة ومنتظمـة، مخالفـة للقواعـد والإجـراءات القانونيـة، مـع الاسـتمرار في عـدم الاعـتراف باعتقـال الأشـخاص واختطافهـم، عـلى الرغـم مـن عرضهـم أمـام محاكـم أمنيـة أو محاكـم ميدانيـة، أو وجـود شـهود عـلى الاعتقـال.

سجون الطاغية

تشـير التقاريـر الدوليـة (التقريـر العالمـي لمنظمـة هيومـان رايتـس ووتـش- 2017) إلى أن عـدد المعتقلـين في السـجون الأسـدية يقترب مـن 120 ألفـاً. لكـن تلـك التقاريـر تعتمـد عـلى الحـالات الموثقـة، مـن قبـل مؤسسـات حقوقيـة ومنظـمات المجتمـع المـدني، ولا تأخـذ بمـا لا يتـم ثبـت توثيقـه، كـذا الأمـر بالنسـبة لأعـداد الضحايـا القتـلى. غـير أن مؤسسـات حقوقيـة سـورية تـرى أن العـدد قـد تجـاوز 220 ألفـاً مـن المعتقلـين، وفقـاً للشـبكة السـورية لحقـوق الإنسـان (تقريـر 2017)، منهـم 9 آلاف طفـل وخمسـة آلاف امـرأة. هـذا الرقـم هـو أقـرب إلى الحقيقـة، أخـذاً في الاعتبـار عـدد الأجهـزة الأمنيـة، وعـدد مقـار الاحتجـاز والسـجون المعروفـة في سـوريا. إضافـة إلى تقاريـر وبلاغـات المحامـين ونشـطاء حقـوق الإنسـان، وشـهادات الناجـين مـن المعتقـلات السـورية، التـي تضـم خلـف جدرانهـا، أضعـاف اسـتيعابها الطبيعـي بمـا لا يقـل عـن ثـلاث إلى أربـع مـرات. إضافـة إلى وجـود أعـداد كبـيرة مـن المعتقلـين المجهولـين، أي الذيـن لم يبلـغ ذويهـم عـن اختفائهـم، أو المحتجزيـن في أماكـن سريـة، أو أقبيـة وزنازيـن معزولـة.

يعـاني المغيبـون قسريـاً مـن ظـروف احتجـاز بالغـة الصعوبـة، في أحيـان كثـيرة تعجـز الكلـمات عـن وصـف الحالـة المريـرة التـي يعيشـها المعتقلـون، خاصـة أولئـك الذيـن مـا تـزال الأجهـزة الأمنيـة تحتجزهـم في مقارهـا. حيـث يتعرضـون لعمليـات التعذيـب والتنكيـل بوسـائل مختلفـة بطرائـق لا تمـت إلى السـلوك البـشري بصلـة. وهـي عمليـة يوميـة لا تسـتهدف انتـزاع اعترافـات أو معلومـات محـددة، بقـدر مـا هـي سـلوك إجرامـي وظيفـي ممنهـج يقـوم بـه السـجان، وفقـاً لتعليـمات وسياسـات النظـام الأمنـي الأسـدي، بهـدف قهـر المعتقلـين ووهنهـم، وإضعـاف معنوياتهـم وإذلالهـم بشـتى الطرائـق بسـبب مواقفهـم مـن النظـام، أو انخراطهـم في تنظيـمات سياسـية معارضـة لـه. تصـل عمليـات التعذيـب، إلى درجـة المـوت. وقـد سُـجلت عـشرات الحـالات مـن مقتـل المعتقلـين عـلى أيـدي جلاديهـم، في مختلـف الفـروع الأمنيـة. وفي حـالات كثـيرة، يتـم ابتـزاز المعتقـل في عائلتـه، كـما ترتكـب جرائـم الاغتصـاب بحـق الرجـال والنسـاء.

كـما يتعـرض المغيبـون قسـراً إلى الحرمـان مـن الحقـوق، حقـوق الاتصـال بـالأسرة وتوكيـل المحامـين، إضافـة إلى سـوء التغذيـة وعـدم توفـر الطبابـة، وفي حـالات كثـيرة يكـون الطبيـب سـجاناً، جـزءاً مـن المنظومـة الأمنيـة الإجراميـة، يتعمـد إهـمال المـرضى، بصـورة تـؤدي إمـا إلى الوفـاة، أو إلى العاهـة، أو اسـتفحال الأمـراض، وتعفـن وتقـرّح الجـروح. وقـد كنـتُ شـاهداً عـلى مثـل تلـك الحـالات والظـروف في عـدد مـن المعتقـلات الخاضعـة لسـلطة النظـام الأسـدي.

لا يمكننـا الحديـث عـن المعتقلـين في سـجون الأسـدية، دون أن نقـف عـلى قضيـة المختطفين والمغيبـين لـدى الجماعـات الإسـلامية والمنظـمات المتطرفـة، الذيـن تقـترب أسـاليب الاختطـاف والاحتجـاز مـن أسـلوب النظـام وطرائـق إدارتـه لملفـات المغيبـين. ومـن حيـث التعذيـب البشـع الذيـن يتعرضـون لـه، والحرمـان مـن حقوقهـم.

هنـاك مـا هـو أكـثر ظلمـةً، ممارسـات يتفتـق عنهـا الظلاميـون في إخفـاء الضحايـا. لا أحـد يعـرف مصـير عـشرات الناشـطين في قضايـا الحقـوق والحريـات، ومنظـمات المجتمـع المـدني. وقائمـة الفصائـل والمنظـمات الإسـلامية المتشـددة والإرهابيـة، معروفـة: جيـش الإسـلام في غوطـة دمشـق وريفهـا، جبهـة النـصرة (بتعـدد وتلـون مسـمياتها) وأحـرار الشـام في المنطقـة الشـمالية حلـب وإدلـب وحـماه. وبالطبـع داعـش التـي قامـت باختطـاف المئـات الذيـن يندرجـون اليـوم تحـت قوائـم المختفـين والمغيبـين قسريـاً.

لا توجـد حتـى الآن أيـة معلومـات عن ظروف وأماكـن احتجـاز المختطفـين، أوضاعهـم المعيشـية والصحيـة، ومـا إذا كانـوا مـا يزالـون

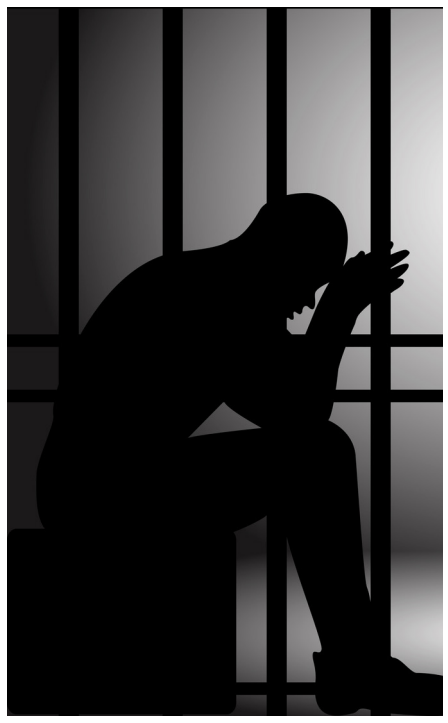

عـلى قيـد الحيـاة، أم أنـه تمـت تصفيـة منهـم. لا توجـد أيـة نتائـج لأي وسـاطات تمـت بخصـوص المغيبـين منـذ سـنوات.

ورثـت «ميليشـيا صالـح مسـلم» داعـش، في الأماكـن التـي انسـحب منهـا تنظيـم الدولـة الإسـلامية، وسـيطرت عـلى جميـع المواقـع دون اسـتثناء. ومـع مـرور عـدة أشـهر عـلى انتهـاء عملياتهـا ضـد داعـش في محافظـة الرقـة، فـإن مصـير مئـات النشـطاء والمواطنـين المدنيـين الذيـن اختطفتهـم داعـش وأحـرار الشـام والنـصرة مـن قبـل، في الرقـة، لا يـزال مجهـولاً. وليـس هنـاك مـن جهـة دوليـة فرضـت عـلى «قسـد» بمـا فيهـا الولايـات المتحـدة بحكـم قيادتهـا لعمليـات التحالـف الـدولي وتسـييرها لقسـد، مـن أجـل الكشـف عـن مصـير المختطفـين، فيـما تـم السـماح بترحيـل عنـاصر داعـش الأجانـب إلى بلادهـم، وإطـلاق سراح البعـض منهـم.

وقـد تفـرد التنظيـم السـوري لحـزب العـمال الكردسـتاني، وأذرعـه الأمنيـة والعسـكرية، بعمليـات الاعتقـال وفقـاً لشـبهة الانتـماء إلى داعـش، عـلى اعتبـار كل عـربي سـوري في شرق الفـرات هـو داعـشي، وقامـت ببنـاء (معسـكرات الاعتقـال الجماعـي)، أشـهرها معسـكر عـين عيـسى شـمال الرقـة. وهـذه تعيـد إلى الأذهـان معسـكرات النازيـة في أوروبـا، ومعسـكرات الفاشـية الإيطاليـة في ليبيـا.

تصـف تقاريـر دوليـة عمليـات التعذيـب، بأنهـا تفـوق مـا فعلتـه النازيـة بحـق المعتقلـين، وعـلى الرغـم مـن توافـر جميـع الأدلـة عـلى الجرائـم التـي يرتكبهـا النظـام الأسـدي، كجرائـم حـرب، وانتهـاكات جسـيمة بمـا يخالـف قواعـد القانـون الـدولي، فـإن المجتمـع الـدولي برمتـه، لم يقـم بواجبـه مـن أجـل إيقـاف معانـاة المغيبـين قسريـاً، وقـف التعذيـب وإحالتهـم إلى المحاكـم والسـجون المدنيـة، كحـدّ أدنى. مـع أن الإجـراء الـذي يتطلـب فرضـه عـلى طاغيـة دمشـق هـو إطـلاق سراحهـم دون قيـد أو شرط!

ليسـت هنـاك حتـى اليـوم، أيـة جهـود دوليـة حقيقيـة فعالـة، حكوميـة وغـير حكوميـة مـن أجـل المغيبـين قسريـاً في سـوريا. ومـا هـو قائـم جهـود مجموعـات صغـيرة، أو جهـود فرديـة، لا يمكـن لهـا أن تسـتمر أو تحقـق نتائـج دون إرادة دوليـة حاسـمة.

بلا ضفاف

الحقل والبيدر..
في احتفالية سوتشي..!

أمجد آل فخري

تعاظمـت أحـلام الـروس كثـيراً بعـد نجاحهـم في إنجـاز المقتلـة السـوريّة، وتعطيـل أي مبـادرة لا تتـماشى مـع رؤيتهـم، حتـى وصلـت حالهـم إلى وهْـم أنهـم قـادرون أن يفعلـوا مـا يشـاؤون متـى يشـاؤون! ودفَعَهـم لـؤم الأمريـكان -بغـضّ الطـرف حينـاً، وتشـجيعهم للغـوص في القضيـة السـورية أكـثر- للوصـول إلى مشـارف الهلوسـة بعظيـم مواهبهـم، فـكان إصرارهـم عـلى انعقـاد مؤتمـر سـوتشي الـذي عقـدوا لأجـل إنجـازه الصفقـات، وتبادلـوا مـع شركائهـم المواقـع في الجبهـات، وغـيّروا التحالفـات بمـا يليـق وجـلال الحـدث، وهندسـوا الاصطفافـات لتصـل رسـالتهم عـبر أقـصر الطـرق في المتاهـة السـوريّة.

ومـن تأجيـل انعقـاد إلى تأخـير افتتـاح، كُشـف السـتار عـن المشـهد المنتَظَـر منـذ شـهور، فـلا بوتـين افتتـح المؤتمـر، ولا الـشركاء الضامنـون تفاعلـوا، ولا أمريـكا وفرنسـا وبريطانيـا والسـعودية والأردن حـضروا، ولا موظّفـو الأمـم المتحـدة انصاعـوا.. ولا «المعارضـون» التزمـوا، وكأن مـا حـدث كان خروجـاً عـن النـصّ! إذ صـار الحبـل عـلى الغـارب في قاعـة الحـوار التـي غصّـت بمـن فيهـا؛ ليُرسَـم في فضائهـا مسـتقبل وطـن شُـرّد نصـف شـعبه، وقُتِـل مليـون مـن أبنائـه، وسُـجن واختفـى مئـات الآلاف مـن شـبابه، ودُمّـرت بنيتـه التحتيـة، وخُرّبـت بنـاه الاجتماعيـة والاقتصاديـة، وفـوق ذلـك استُبيحت أرضـه لتكـون مسرحـاً لتصفيـة الحسـابات في الصراعـات الإقليميـة والدوليـة.

ليـس هـذا وحسـب، بـل تأكّـد الـروس مـن لا جدّيّـة النظـام في التعاطـي مـع المؤتمـر، فالمئـات ممّـن أوفدهـم لا ناقـة لهـم فيـما يحـدث ولا جَمَـل، مـن سـارية السـوّاس إلى غسّـان القـلّاع، مـروراً بـكلّ المرتزقـة والمسـتثمرين والقوّاديـن والمخبريـن. وتأكّـدوا أن «المعارضـين» الافتراضيين أرسـلهم مُشـغِّلوهم إثباتـاً لحسـن النوايـا، فلوّحـوا بأعـلام الثـورة مظهريـن سـوء معاملتهـم وضيافتهـم، فخـلا المسـرح لرقصـة الفالـس الأخـيرة، بإعـلان لجنـة دسـتوريّة عُهِـد أمرهـا للمبعـوث الأممـي دي مسـتورا -وحتـى هـذه اختُلِـف في قراءتهـا؛ أهـي لجنـة لمناقشـة الدسـتور الحـالي «كـما يقـول النظـام»، أم هـي لجنـة إصلاحـات دسـتورية كـما يشـتهي مـن حُسِـبوا عـلى المعارضـة (تيّـارات ومنصّات الجربـا وقـدري جميـل وهيثـم منّـاع ولـؤي حسـين ورنـدة قسـيس)؟- وهـي الورقـة الروسـية الوحيـدة في مواجهـة الرؤيـة الدوليـة الجديـدة «اللاورقـة»، التـي أعلنتهـا الـدول الخمـس المقاطعـة لسـوتشي، والتـي تتضمّـن مـا ورد في جنيـف1 وقـرار مجلـس الأمـن 2254.

كأني بالـروس -بعـد انتهـاء مهرجـان سـوتشي للهمروجـة السـورية- يتسـاءلون: أيسـتحقّ الناتـج كلّ هـذا العنـاء؟ هـل حقّقنـا الالتفـاف عـلى القـرارات الدوليـة؟ وهـل ذابت المعارضـة في بحـر شـبّيحة النظـام؟ وهـل يمكننـا القـول إننـا نمتلـك مفتـاح الحـلّ السـحريّ للقضيـة السـورية؟

أرى أن حساب بيدرهم لم ينطبق على حسابات حقلنا..

حوار مع حمزة رستناوي، ما معنى أن تكون شاعراً؟!

أسئلة إدريس علوش

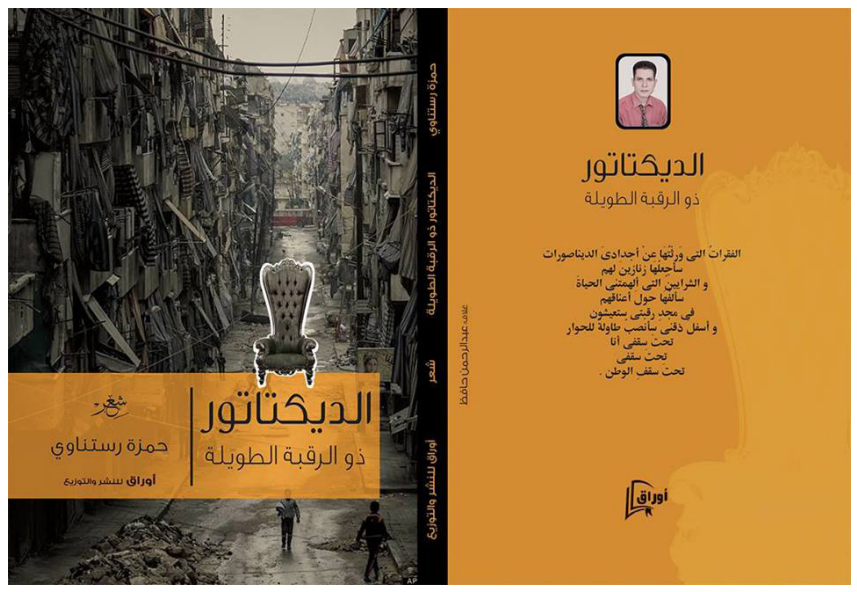

س-1 ما معنى أن تكون شاعراً؟

ج-1 أن تكون إنساناً تتدفق منه الحياة، يتحّسس الكلمات، يستمتع بغواية اللغة، ويستكشف بها وعبرها مغزى الوجود، بعيداً عن السطحية والابتذال وثقافة الاستهلاك.

أن تكون شاعراً يعني أن تكون إنساناً يتقن التذكّر، ويحتفي بطفولة الأشياء ويسعى لأنسنة الوجود عبر لحظة التأمل، لحظة الشعر.

س-2 هذا جميل.. لكن ماذا لو كنتَ غير ذلك..؟

ج-2 لو لم أكن شاعراً يكتب الشعر بالمعنى الخاص للكلمة - وهذا احتمال قائم- فلن أفرط أن أكون إنساناً حيوياً يعيش قصائد وحيوات الآخرين، يفرح معهم، ويحزن دونهم، يحبهم رغم كل شيء، إنساناً يعيش الحياة بطريقة شعرية.

فالشخصية الشعرية - ولا نعدم وجودها في أي إنسان- هي التي تغويني أكثر من كتابة الشعر «القصيدة»، فكتابة الشعر ليست إلا تعبيراً أو تدريباً عليه، تعبيراً يتيح لنا استكشاف شخصية الإنسان المُكتنزة بالجمال.

فعندما تتأمل الجدار مثلاً، تستحضر السيرة الذاتية للجدار. أين كان هذا الجدار «الإنسان» قبل ألف عام مثلاً؟ ومتى وُلد؟ من أبوه وأمه؟ لماذا بنوه؟ ما فائدته وما الأيادي التي عبثت به؟ ولو أتيح له الكلام ماذا سيقول عنا نحن البشر؟ هل سيفضح حبيبين يقبّلان بعضهما تحت ظله خوفاً من عيون الفضوليين؟

ثم أليس لهذا الجدار حبيبة يشتاق إليها؟ وهل يخاف الجدار مثلنا نحن البشر؟ هل سيسامح الذين يهدمون حجارته، ويعبثون في جسده، أو الذين يشوّهون صورته بالكتابة والشعارات الكاذبة، بل وحتى الذين -عفوا- يبولون عليه؟

وهكذا فإن استحضار السيرة الذاتية للجدار، ولو كان مجرد خواطر، هو تفاعل وجداني ينمّ عن شخصية شعرية - يجب أن ننمّيها - وبغض النظر عن توثيق هذه السيرة أو اللحظة من خلال قصيدة، فأجمل الشعر هو الذي يظل هارباً خارج سجون اللغة.

لو لم أكن شاعراً بالمعنى الاصطلاحي الخاص للكلمة، فلن أفرط بالشاعر البذرة التي تسكن داخلي.

بالمناسبة فأنا شاعرٌ بالصدفة، فحتى سنة تخرجي من كلية الطب في حلب 1997- وقد جاوز عمري الخامسة والعشرين آنذاك - لم يخطر في بالي أن أكون شاعراً بل لم أقرأ قبل ذلك أي مجموعة شعرية أو ربما قصيدة باستثناء المقرر الدراسي، كانت مشاغلي تنحصر في التحصيل العلمي وسماع الموسيقى وتأمل الطبيعة والناس؟ أثناء العطلة الصيفية كانت هوايتي المطالعة، مطالعة كتب العلوم والتاريخ والفكر والسياسة والجغرافيا وعلم النفس وكثير غيرها عدا الشعر والآداب، ولكنني - وهذا ما اكتشفته الآن أنني كنت أقرأها وأعيشها بطريقة شعرية. فعندما دخلت إلى المشرحة في الصفوف التمهيدية للدراسة، كنت أتأمل وجه الجثة موضوع درس التشريح وأشرد وأتأمل ذاتي وأتذكر تاريخ الجثة - عفواً الإنسان- أتخيل ذاتي جثة، وجموع الطلاب يقطعون أوصالي، وكنت أقول لا بأس هذا خير من أن يأكلها الدود!

وعندما نظرت لأول مرة إلى صورة الصدر المُجراة بالأشعة السينية تخيلتها لوحة تشكيلية على الطريقة السريالية؟

وعندما تجسّ الشريان الكعبري في مستوى المعصم، ويتم ذلك بالضغط على الشريان حتى ينقطع تدفق الدم فيه، ثم ترخي أصابعك قليلاً حتى تشعر بتدفق النبض الشرياني فيه، فتجسّ حجم النبضة ومدتها وشكلها وتوقيتها، ينتابك شعور مختلف، شعور شعري بأن هذا النبض هو نبض الحياة، وأنك ربما مجرد عداد يعد حيوات المريض الإنسان، ولكنه عداد بمشاعر وأحاسيس، وبتكرار التجربة تتطور لديك شعرية لمسية خاصة بجس الشريان، كما تتطور لديك شعرية سمعية خاصة بإصغاء أصوات القلب.. بهذا المعنى يمكنك أن تكون طبيباً شاعراً أو مهندساً شاعراً أو نجاراً شاعراً أو مزارعاً شاعراً الخ.

لقد أسهبتُ كثيرا في الإجابة، ولكن لو لم يتح لي الانعزال الجغرافي والإنساني في البادية السورية أثناء تأديتي خدمة العلم ربما لم أكن لأكتب الشعر بالمعنى الخاص، فكسر روتين الحياة و الفراغ والاحساس بالإهمال واللا- معنى هو الذي جعل منّي شاعراً أكتب القصيدة و كانت قصيدتي الأولى (كائنات) في صيف 1999

س-3 بهذا المعنى.. ما الذي يعنيه لكَ الشعر؟

ج-3 الشعر يعني أن أعيش الحياة بطريقة شعرية

س-4 والقصيدة؟

ج-4 القصيدة هي بنية لغوية قولاً واحداً، بنية لغوية تعكس الطاقات المختزنة في الكلمات والسياقات اللغوية والعلاقات الداخلية للنص الشعري. القصيدة تقدم لنا عالماً شعرياً يتفاوت في رؤيته بين الأبيض والأسود، ويأخذ كل تجليات ألوان الطيف، عالماً يتناوب فيه العقل بالجنون، عالماً يحتفي بالأمكنة والأصدقاء والأعداء والأشياء والسير والرؤى والانكسارات... الخ

ولكن ما يميز عالم القصيدة عن عوالم الأجناس الأدبية الأخرى كون العالم الشعري هو العالم الأكثر قرباً إلى المطلق المتعالي أو قل إلى الله!

كذلك كونه العالم الأكثر احتفاء بالمشهد البدئي للوجود، والذي يقوم على امتلاك مفاتيح وأسرار اللغة وتوظيفها في سياقات مدهشة مفارقة ومنزاحة.

س-5 وقصيدة النثر؟

ج-5 هي الشقيق الأصغر في عائلة الشعر

أو هي الكوكب الذي اكتشفناه أخيراً من كواكب المجموعة الشعرية، وأما ما نجده من آراء معادية لقصيدة النثر فما هي إلا تعبيرات عن الأصولية الدينية والقومجية الرائجة حالياً، فالأصوليات- والمقصود بها هنا الإيديولوجية - تميل إلى النمذجة وتقديس النموذج وفق لوائح جوهرانية ثابتة.

قصيدة النثر هي اختراق للنموذج، فقياساً إلى «عامود الشعر» ليست قصيدة النثر من وجهة نظرهم بنت أصل؟؟

إن القصيدة العربية التقليدية ذات الشاطرين وبحور الخليل ونظام التفعيلات لم تهبط من السماء، ولم نعثر عليها في وادي الألدورادو، بل هو حصيلة تطور تاريخي أنتجه مجتمع يتكلم اللسان العربي، وهذا اللسان لم يدشَّن بالشكل الذي وصل إلينا مع الشعراء الجاهليين إلا قبل قرون قليلة من الهجرة النبوية، واللغة العربية ما هي إلا لغة من لغات ولغات...

فمن أين جاءت هذه القداسة لعمود الشعر! المقدّس هو الجمال وما يتفرع عنه من طرائق وتعبيرات ورؤيا نجدها في النص الشعري الجيد لا فرق بين عمود وتفعيلة ونثر.

س-6 والشعراء كيف تنظر إليهم؟

ج-6 أنظر إليهم ككواكب ونجوم ومذنبات في عالم أو ربما كون شعري وأنظر إلى القصائد كإشعاعات متفاوتة الجمال والجلال.

لكن كل من يوظف اللغة خصوصاً والفنون عموماً في خدمة الأشرار والمستبدين والقبيحين سوف لن أتردد في طرده من هذا العالم، فليس من المعقول أن نعيش بعقلية المتنبي المدّاح الهجّاء طالب السلطة بعد ألف عام على وفاة المتنبي!

قد يكتب أحدهم قصيدة جيدة، ولكن لكي تكون شاعراً في هذا العصر وفي هذه الظروف، ينبغي أن تكون مثقفاً بالمعنى العضوي لكلمة مثقف، فكتابة القصيدة هو الشرط الضروري ولكن غير الكافي لكي يكون الإنسان شاعراً محل تقدير ومحبة لنفسه وللناس.

س-7 - بهذا المعنى أنت وجه آخر للقصيدة؟ ما رأيك..؟

ج-7 نعم ولكن ليس بالمعنى السطحي، وما قد نجده من ازدواجية في حياة الشعراء، فهذا يتكلم في قصائده عن حب الوطن والوطن في ظنّه ليس سوى طائفته! أو زعيم طاغية! وذلك يتكلم في قصائده عن الفقراء والمشردين ولا يدخر جهداً في زيادة شقائهم، وذاك في قصائده يتكلم عن الحب والوفاء ثمّ يخون حبيبته وزوجته؟!

هؤلاء ليست القصيدة سوى طفرة في حياتهم.. هناك شعراء يعيشون الشعر ولا يكتبون القصيدة، وهناك شعراء يعيشون الشعر ويكتبون القصيدة، وهناك من تتحول حياتهم وسيرتهم إلى عبء على الشعر، فكم قرأت قصيدة وتمنيت في داخلي لو أنها كانت لشاعر مجهول لا أعرفه؟

ولكن في كل الحالات وعلى المستوى التقني والنقدي، لا بديل عن نظرية موت المؤلف كمنهج لدراسة النص الشعري وغير الشعري.

- حمزة رستناوي

شاعر ومؤلف سوري، من مواليد بلدة مورك 1974، طبيب اختصاصي في طب الأعصاب. صدر له خمس مجموعات شعرية، كانت أوّلها (طريق بلا أقدام) 2001 ومن ثم (ملكوت النرجس) و(سيدة الرمال) و(الشذرات) وآخرها كان (الديكتاتور ذو الرقبة الطويلة) 2016. صدر له في مجال الفكر والإسلاميات التطبيقية خمسة كتب هي على التوالي: -1أضاحي منطق الجوهر. -2 تهافت الإعجاز العددي في القرآن الكريم. -3 الإعجاز العلمي تحت المجهر. -4 الفريب النجس في الخطاب السياسي السوري. -5 في البحثِ عن منطقِ الحياة.

النزوح هروباً..!

نجاة عبد الصمد

أنت (المواطن) المقيم في منطقةٍ موالية في الداخل السوريّ. ترقب شواء بلدك، وتحاول أن (تحوص)، أن تنتفض، أو تتمطط حتى آخر سنتيمترٍ في المساحة المتروكة لدبيبك.

تصادف في الطريق جاراً قديماً. يا إلهي! إنه جاري (ز...)، بائع البسطة. من أين له البدلة المموهة، ولماذا أرخى لحيته حتى صدره، وما هذه العمامةُ السوداء على رأسه وليس في زيّنا ما يشبهها؟! تسأله: ما هذا يا ز...؟

*(أنا من اللجان الشعبية. أخيراً لاقيت شغل وصار عندي راتب شهري. عمنطلع غارات على المسلحين بدرعا قبل ما يهجموا على بيوتنا، وأحياناً مندخل بالوساطات لفكّ المخطوفين). تبتلع أفعى الكلام وتمضي.

يشيّع ابن جيرانكم شهيداً في جيش الوطن. يهتف أخوه في الجنازة: أخي فدى الوطن. (أخوه هو المندوب الرسمي لتأمين المازوت والغاز لأبناء الحارة، والمندوب السريّ لتأمين السلاح لأهلها بالسعر الذي يطلب). تستغرب أن أخاهم الثالث غائب عن الجنازة. تنتبه أنك لم تعد تراه في الحارة منذ مدة. تسأل أخاه (باسم الجيرة) عن غيابه. يجيبك: هو في مهمة وطنيةٍ في إدلب. ولا يستطيع أن يظهر بين أهله هنا بذقنه الطويلة. يتابع الأخ: وهبه الله ذقناً حمراء اللون كذقون الأفغان والشيشان، وعن طريقها ينصبون الكمائن للمسلحين هناك. يرونه فيحسبونه مسلماً جاء من بلاد الإسلام لنصرتهم، فيستدرجهم إلى الجهات المختصة.

تكتشف كم يستحيل عليك إقناعه بأن يستعيد أخاه. تراه يجيبك بطعنك في شرفك ووطنيتك، ويبدأ أهل حارتك باجتنابك وقد أشاع جارُك هذا خبر معارضتك!

أنت الذي عاهدتَ نفسك ألا تنام في هناء تابوتٍ اسمه: (منحبك)، و(زغيرة يا كبير)، و(كنا بألف خير...) و(لو إجوا الإسلاميين راح يذبحونا...)

قد تختار الحياد: (أنا ما دخلني.. يصطفلوا...). تقول: لن أزعج أحداً، سأكون بشراً مسالماً، مواطناً صالحاً (غير ناقم)، أروح إلى أشغالي بصمتٍ واستقامة، لكنّ استقامة المواطن الآدميّ هذه تستفزّهم كدمّلٍ موجع. قد تقول: لكنّ لي رأيي! أنت الذي خرجتَ أيام كانت في البلاد مظاهرات (الموت ولا المذلة)، وأنت الذي قلتَ عند أول مجزرة: (لا للقتل أياً كان القاتل). وأنت الذي بدأتَ تغيث أبناء بلدك النازحين إلى منطقتك حين توالت قوافل النزوح. أنت تغيث أخاك السوريّ كمواطنٍ يحترم نفسه وإنسانيته وإنسانية أخيه. لكنّ فعلك هذا يتجاوز حدود الأدب: (كيف لك وأنت ابن الأقلية المدللة أن تكفر بالنعمة، أو كيف تجرؤ على فعل ما لا نريد وأنت من نقاتل العالم كله لنحميك؟!). يحاولون إعادة تأهيلك بأن تصير طعاماً لأشداق السجون ومرمى لعصا السجان، وعبرةً لمن يعتبر، وتصير منبوذاً ومغضوباً عليه من حكومةٍ ومن أهلٍ ومن أصدقاء الأمس.

تقول: ستظل وجهتي سوريا الواحدة. لي عزوةٌ في أبناء بلدي في سهلها ونهرها وجزيرتها وساحلها. أين صار هؤلاء؟ رحلوا أو اعتقلوا أو استشهدوا، أو ضاعت أخبارهم في هذه البلاد التي صارت ثكنةً عسكرية كبيرة أو سجناً كبيراً..

كل يوم ترى كم يخنقك العيش. يحكمك مزاج (تقنين) الكهرباء، ودبيب الاتصالات أو انقطاعها، ودخلك الشحيح، والغلاء الوقح، ومدخراتك التي تنفد.

لكنك لن تحتمل ـ أنت الذي لا حرب في منطقتك ـ أن يتكدّس السلاح فيها أكثر من الطحين في أفرانها، وأن تتمزق طرقاتها إلى حواجز تحرسها وجوهٌ مسعورة وكلاشينكاتٌ ملقّمة...

كل يومٍ ترقب غياب الدولة وانفلات الأمن، وتنزف خوفاً من الفقر ومن السرقة ومن الخطف ومن الاعتقال ومن القتل. ترقب بعينيك كيف يتكرّس الاستبداد نهجاً، وقتل الأبرياء نهجاً، وتدمير الإنسان نهجاً، وكم أنت الآن عاجزٌ ووحيد ومنبوذ.

ترى بعينيك كيف أصبح هجرُ البلاد أيضاً نهجاً، بل صار عدوى أنت أضعف من أن تقاومها.

لكنك تحاول. تجلس على مقعد الفقد كحارس تعيسٍ يذاكر أسماء أحبته الغائبين، وأوصافهم، وكلّ ما عاشوه معاً وكلّ ما اقتسموا من آمالٍ ومن وعود، وكل هذه الوحشة التي تركوا... لا تنتبه أنك، من فرط الفقد والخوف والوحشة، تبحث في اللاوعي عن سبيلٍ للنجاة، واللحاق بأصحابك المشتتين في كل أصقاع الأرض، تقول لنفسك: هم هناك في أمان لا يشبه جحيمك هنا.. وقد طالت محنة البلاد، واشتدّ بطش النظام، وتأسلمت الثورة، وفسدت قيادات المعارضة، وخاننا العالم كله.. أنا أيضاً أخشى على نفسي وعائلتي. لماذا لا أفرّ بها من هنا؟

وكل يومٍ تصارع كي لا تفرّ بروحك خارج البلاد.

لو لوّحتْ لك بارقة أملٍ بالخروج ستشيح الطرف عن أنك هنا في بلدك تحرس كرامتك وتحمي محيطك الصغير، عن أنك طبيبٌ يعالج أبناء بلده المرضى والمحتاجين، أو أنك محامٍ يحاول إنصاف المظلوم. أو مهندس يؤسّس لبناء متينٍ وبحد أدنى من السرقات والمخالفات، أو معلّمٍ يربّي عقولاً ويمرر عبر دروسه علمَه وأفكاره، أو تاجرٍ يكتفي بربحه الحلال، أو أديبٌ كان يكتب بخجل وبخوف وبمواربة ويرمي فكرة هنا وهناك، ولا بد من أن يعلق في رأس قارئيه بضع كلام.

هؤلاء هم من يهاجرون في هكذا ظروف. هو ما يسمى: (النزوح هروباً)...

الفقراء وأنصاف المتعلمين لا يحملون عائلاتهم إلى المجهول، هم ينكفئون إلى خوفهم وجوعهم في ستر بيوتهم. حتى نزوح الهروب يحتاج إلى مال، وجيوبهم خاوية، ولا رجاء لهم في أن يستضيفهم أحد!

ستُخلي مكانك الصغير، وأنت المحامي والمهندس والطبيب والمدرّس، وأنت الذي كنتَ شامةَ البلد، تخنق عملك الصغير في محنة البلاد الكبيرة؛ عملك البسيط الذي ليس أقلّ من جهاد.

تبرّر لنفسك: لم يبقَ في البلاد سوى الطغاة والمستفيدين والعاجزين وكل من لم يستطع الهروب.

تميد البلاد في ذعرها على مصير أحيائها الباقين. بين ضعيفٍ يكابد هذا العيش المرّ، وناشطٍ ينتظره سجنٌ أو منفى، وبين منفيٍّ خارجها إلى المجهول.

ومن فرط ما ضاق بك المكان والحصار لم تعد تنتبه إلى فداحة ما ستخسر أنت قبل محتاجيك.

وقد تعيه، وتشيح عنه.

العبرة في (قيامة) السؤال، في نكزه الدائم وفي لجاجته وفي اشتداده.

أنت تريد البقاء، لكن هول البقاء فوق احتمالك

وأنت لم تحسم أمرك بعد في الخروج

وما بينهما ستبقى أنت مشتّتٌ كأوصال البلاد

ابن الحسكة الذي صار في تركيا يكتب لصديقته: (لم أحتمل. أنا في الطريق إلى ألمانيا. ادعيلي يا وردة هذه البلاد. ربما، بحراستك، يشتد أزر قلبي الضعيف، وحياتي صارت في مكان آخر).

وصديقٌ من الرقة يكتب: (ذاهبٌ إلى تركيا. صارت الحياة في الرقة لا تطاق). وصديقةٌ من حمص تقول: (نضبت حمص وليس لي مكان أروح إليه. راسلتُ الجميع ولم يجبني أحد. أكتفي بسعادتي يوماً بيوم حين أعود من العمل سالمة وأجد طفلاتي سالمات)

وابن درعا يتطلّع إلى أرضها من هناك، (من منفاه في الأردن خلف الحدود القريبة)، يرقبها كيف تصير حقولاً محروثة (جاهزة لزرع البطاطا) وابن السويداء يتمتم: (كانت هذه الأرض فقيرة دوما ومنسية. كان لنا فيها خبز حاف. واليوم ينضب الخبز وتتسع السجون).

تجد نفسك تغبط هذا المنفيّ الآمنَّ بروحه الباهتة. الآمنَ المسلوخ عن مسقط رأسٍ لن تمنحه الحياة سواه، وليس قربه لا أمٌّ ولا أب ولا أخوة ولا جيران العمر القديم ولا أصدقاء الطفولة والنشأة والنضج، ولا زملاء عملٍ ولا ماضٍ ولا ذاكرة... هؤلاء الفريدون، الذين لن يقدر أن يستنسخهم أو يصوغ أشباهاً لهم في مقامه الجديد. ليس لأنه يفتقدهم ككتفٍ يتكّئ عليه ويبكي في لحظات الضعف، إنما لأن حياته في المنفى ضعفٌ محض.. وحتى لو تجاهل مشقّة العثور على بيت وعلى عملٍ جديد؛ فلن يشفى من الفصام في داخله إلى نصفين أحدهما مربوطٌ إلى وطنه بحبال الحنين، والثاني يستميت للاندماج في مجتمعه الجديد.

كل يومٍ تسأل نفسك: إلى متى سأبقى في سوريا؟

وكل يوم يموء جوابك: هي بلدي. كيف سأغادرها قبل آخر لحظة يمكنني فيها البقاء؟!

كم قد تتسع وتتفضفض هذه الـ: (يمكنني)؟!

مجلة الحرمل: ثقافية ــ سياسية ــ نصف شهرية ــ مستقلة

الحريـــة دائمـــاً

Her Daim Özgürlük

ALHARMAL : 15 günde bir Siyasi ve Kültürel Gazete
SAYI: 74 YIL: 4 (2018)
EDİTÖR: MAJED RASHEED ALOWAYYED
BASKI: İMAJ OFSET.Sırrın Mah.647 sok.no:33 MOB: 00905393102133

رئيس التحرير: ماجد رشيد العويد – مدير التحرير: يوسف دعيس

Muzaffer kartal bahçelievler- hekŞmler apt no.3 ŞanliUrfa
Alharmal.journal@gmail.com
Twitter.com/AlharmalJournal
FB.com/AlharmalJournal

حارات الفيس بوك..

إبتسام تريسي

يخطر لي أحياناً أن أتمشى قليلاً في حارات الفيس بوك وأزقته الضيقة، تؤرقني فكرة ما فألجأ إليه، لكنه يجرني إلى متاهات أضيع فيها وتغرقني في مستنقعات التحيّز والأيدولوجيات التي صارت هوية لأصحابها وبطاقة تعريف بهم.

حين دخلت الحارة السورية، فكرت أن أكتب عن الانفصاليين الأكراد، وخطفني خطاب أردوغان الأخير وخوضت طويلاً في مستنقع القتال في إدلب ومعركة مطار «أبو الضهور» ثمّ وجدت نفسي بأحد الأزقة أعاين آراء ضبابية لم تتوضح بعد عن إفراغ الثورة من محتواها لكن، وللحقيقة هذه المرّة، ليس محتواها الفكري بل البشري! في الواقع لم أعد أطيق الكتابة في مستنقعات السياسة.

لماذا عليّ أن أكتب مقالاً سياسياً، وأنا أبعد ما أكون بطبعي عن تلك الأجواء الموبوءة بكلّ ما تحمله الكلمة من دلالات؟

هكذا أرادت الثورة أن تحصرني في ركن لا أغادره، وأرى كلّ الأمور والأشياء من خلاله.. وبإرادة الثورة التي غزاها أرباب الشر وحثالات البشر فقتلوا كلّ شيء نظيف فيها فخلّفت وراءها جيلاً من المشوهين والمحبطين والضائعين في أصقاع الأرض، كنت أنبش ركام الدّمار حولي لأكتب بل لأحفر بأظافري فوق الطّين والرّيح حقائق أبقيها للزمن والتاريخ.

أوربا أرادت لنا النزوح، وقد تمّ لها ما أرادت وبذلك أفرغت الثورة من طاقاتها البشرية الهائلة التي تشتتت في أرجائها، واقتنصت منها الشباب الموهوب والمبدع والمميز والمؤمن بالحرية وشغلته بكيفية الاندماج بمجتمعاتها، وتعلم لغاتها ومعرفة تاريخها وحضارتها، والإيمان بعظمة إنسانيتها فقد قدّمت له اللجوء والأمان الذي افتقده في بلاده!

صار واضحاً للأعمى الهدف الرئيس من استقبال تلك الدول للأجيال الشابة والأطفال.. الإحصائيات تتحدث عن آلاف الأطفال المفقودين.. الإحصائيات تتحدث عن آلاف ماتوا غرقاً في رحلة اللجوء.. الإحصائيات الأخيرة التي نطق بها أردوغان في خطابه الذي هدّد به بإعادة السوريين بالإكراه إلى بلادهم تتحدث عن ثلاثة ملايين إنسان في تركيا وحدها! أوربا التي صمتت عن جرائم القتلة وأية جرائم.. إنّها أعظم من أن يقال عنها جرائم حرب أو جرائم ضدّ الإنسانية ، إنّها جرائم غير موصوفة سابقاً ولا تقبل بها حتى وحوش الغابة.

في حارة مجاورة من حارات الفيس بوك وجدت نفسي في مصر بكلّ زخمها السياسي، ورقعتها الجغرافية، في تلك الحارة حكاية أيضاً اسمها الانتخابات الرئاسية.. الطريف المبكي هو الصراع بين المثقفين المصريين حول توصيف المعارك الانتخابية ومشاركة إعلاميي السلطة في تلك المهازل المسماة معارك.. لا شكّ أنّ لكلّ سلطة كتّابها لكنّ الحارة المصرية الواقعة في جنوب الفيس بوك تحتشد بأكبر عدد ممكن من كتّاب السلطة هؤلاء الذين نشأنا على توجهاتهم القومية والعروبية في مطلع الشباب.. وسجّل معظمهم موقفه مع السيسي قبل أن يخطفه الموت. كثيراً ما تساءلت عن الدافع وراء تأييد المثقف والكاتب للسلطة الحاكمة، وترويجه لها ودفاعه عن أخطائها إذ لا يمكنني أن أعزو ذلك إلى الجهل ولا إلى الغباء ولا إلى طلب الشهرة والمنصب.. معظم هؤلاء كانوا يتمتعون بامتيازات قبل مجيء السيسي إلى السلطة، أهي كراهية الإخوان؟ أم الضمائر الميتة؟ أم أنّهم لا يمتلكون بوصلة أساساً سوى بوصلة الخنوع والعبودية الطوعية؟ لنقرأ ما كتبه يوسف القعيد أحد هؤلاء في جريدة مصرية بعنوان «قاموس السيسي»

«حكاية وطن» كان عنوان المؤتمر وربّما تكون المرة الأولى التي يقدّم فيها رئيس للمصريين كشف حساب بما قدمه خلال ولايته الأولى، قبل أن يعلن عن ترشحه لفترة ثانية!

أي نعم تلك إحدى معجزات السيسي والله.

تحدث القعيد عن خطاب السيسي قبل ترشحه للفترة الرئاسية الثانية مبدياً إعجابه بالحكاية، الحكاية التي هي عماد الأدب الروائي ابتداء من شهرزاد وليالي ألف ليلة وليلة والتي هي أقرب للأساطير ولم تفقد متعتها. السيسي طيلة فترة المؤتمر الذي استمر ثلاثة أيام لم يتكلّم عن ترشحه بل اكتفى في خطابه الطويل بالحديث عن المصريين، وفي الجزء المرتجل الذي استأذن الحاضرين بقوله قبل أن يقرأ الخطاب من الأوراق المعدة بعبارات يمكن أن تشكّل إضافة إلى البلاغة العربية _بحسب تعبير القعيد_ قال السيسي: «إنّ المصريين كانوا يأكلون الجوع ويشربون العطش» وبالعقل الجوع لا يؤكل، والعطش لا يشربه إنسان، وإن شربه فلن يصل إلاّ إلى عذاب العطش، الجوع جوع والعطش عطش، لكن في قوانين البلاغة العربية والإعجاز اللغوي العربي فإنّ الاستخدام اللغوي لأكل الجوع طعام وشرب العطش كماء الحياة بلاغة من نوع جديد».

في الواقع ليس الإعجاز ما قاله السيسي وليست البلاغة ما جاء في خطابه.. الإعجاز هو ما اجترحه يوسف القعيد من تطبيل في مقاله.. كان عليه أن يوضح لنا بلاغياً نوع الاستعارة التي أبدعها قائده الفصيح. أهي استعارة مكنية أم تصريحية.

قد قصدت الحارة المصرية علّها تمنحني ما يمكن الاستعانة به على مأساتنا السورية فوجدتها ترقص فرحاً بمأساتها. ألقيت نظرة من بعيد على باقي حارات الفيس بوك الشّرقية والغربية فوجدتها معتمة هذا المساء، ووجدت أضواءها مطلية باللون الأزرق، اللون الذي يطلى به زجاج النّوافذ أوقات الحرب كي لا تعرف الطائرات هدفها!

من الخطر أن نقترب من تلك الحارات.. فالحذر واجب!

زاوية حرة

سوتشي وأحلام قائد العالم..!

يوسف دعيس

طاش حجر السوريين مؤخراً، وبدأ سيل إلقاء التهم يميناً وشمالاً، وفقد البوصلة معظم من كرس حياته خدمة لقضية آمن بها عبر سنوات طوال، فلا إن لبى دعوة خصته بها جهة ما، أرضى محيطه أو مريديه أو أتباعه، أو من كرّس حياته في خدمتهم، ولا إن رفضها أرضى نفسه وأرضاهم.

في مشهد سوتشي الأخير، أبرزت صوره عمق التشظي الحاصل بين السوريين، رغم من ظهر وهو يحمل علم الثورة، وينادي بالحرية والكرامة، في بلد فقد كل كرامة، أو يتوسد حذاءه، محاولاً تأكيد صورة الثائر الذي نذر نفسه للحق، أو يتحاذق بإرسال رسائل عرفان بالجميل لسوريا الأسد، أو يتزاحم على مفارش الأطعمة، حاملاً كرشه في مشهد يكرس صورة الكلاب الضالة التي اجتمعت على قصعة مليئة بما لذ وطاب.

في سوتشي ضاعت الطاسة في بلد يفتقد للإنسانية قبل كل شيء، وفي قاعة اكتظت بأم البيارق، وغادة بشور وسارية السواس ورندة قسيس، وحذاء طعمة، ونداءات الغافلين بالحرية والكرامة في منتجع سوتشي الذي كرّسه القيصر لاستقبال قادة المافيا العالمية وسط ترديد آيات الشكر والعرفان من بعض السوريين لقائد العالم، ولبلد كرّس احتلاله لسوريا، وقتل هو وربيبه المأفون الذي يحكم سجن سوريا الكبير. نعم شكر لا بد منه للرئيس بوتين الذي يتباهى أمام العالم، وفي خطاب علني أمام جنوده السفاحين بأنه جرّب وجيشه أكثر من مائة نوع من الأسلحة في سوريا، الأسلحة الفتاكة والأسلحة الأكثر فتكاً، الأسلحة التي قطّعت أوصال الأطفال، وسفكت دماء الأحرار الذين خرجوا للحرية والكرامة، ولم يخرجوا أبداً ليقولوا لقائد العالم شكراً لأنك تقتلنا بأكثر من مائة نوع من السلاح الفتاك والأكثر فتكاً.

الذين حضروا إلى سوتشي من الداخل، كانوا يرددون نشيد موطني، والذين حضروا من تركيا كانوا يرددون النشيد نفسه، والذين حضروا من مصر ومن غيرها كانوا يحملون نفس الآمال بموطنٍ غادروه ولم يغادرهم. ثمة من يحلم بموطن قائده الأسد إلى الأبد، ولا يتصور أحداً غيره جديراً بحكم سوريا سوى قائده الأزلي، وثمّة من يحلم ببلد تسوده العدالة وقيم الحرية والديمقراطية، وثم أناس حضروا فقط ليرددوا آيات الشكر لقائد العالم الذي أوغل وجيشه في دماء السوريين.

بين كل هؤلاء، ووسط دهشتهم، وابتساماتهم الحائرة، ما زالت الطائرات الروسية تحرق أهلنا وبيوتهم في سراقب، وأبو الظهور، والغوطة الشرقية، وما زالت الأبواق تردد بحيرة بالروح بالدم نفديك يا بشار، وما زالت الدموع تسلك طريقها على وجنات الحائرين وخبزهم المغمس بالدم.

أيها السادة كان عليكم أن لا تذهبوا إلى سوتشي، لأنها لم تكن في يوم من الأيام إلا ملاذاً للقتلة والسفاحين، كان عليكم أن تقاطعوا هذا المؤتمر، وإن لم تقدروا على ذلك، فالصمت أجدى وأنفع من تبريرات كنتم بغنى عنها.